المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم
الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

٠٣٢

كلية الحديث الشريف والدراسات الإسلامية

قسم فقه السنة

مذكرة مقرر تأريخ السنة

كتب المذكرة: عبيد الله أسعد (غفر الله له ولوالديه ولمشايخه)

أستاذ المادة: أ . د . عمر بن مصلح الحسيني

العام الجامعي: ١٤٤٢هـ

(المذكرة معتمدة لاختبار المقرر هذا الفصل، ولم تراجع جميعها من مدرس المقرر)

بسم الله الرحمن الرحيم

المبحث الأول: مبادئ تاريخ السنة

تعريف تاريخ السنة إفراداً وتركيباً:

تعريف التاريخ:

- **لغة:** يرمز ويسهل، فهو الإخبار عن حوادث الزمن الماضي.
- **اصطلاحاً:** هو علم يبحث عن وقائع وحوادث الزمن الماضي؛ من حيث التعيين والتوقيت.

تعريف السنة:

- **لغةً:** هي الطريقة والسيرة؛ حسنةً كانت أو قبيحة، وتأتى بمعنى الابتداء بالأمر.

– من شواهد معنى القبيحة قول الشاعر:

فلا تجزعنّ من سنةٍ أنت أسرتها ** فأول راضٍ سنة من يسيرها.

- من شواهد معنى السيرة الحسنة قوله ﷺ: ((من رغب عن سنتي فليس مني)).

– من معنى السنة الابتداء بالأمر قوله ﷺ:"من سنّ في الإسلام سنّةً حسنةً فله أجره وأجر غيره"

- **اصطلاحاً:** هي: كل ما أثر عن النبي ﷺ من قولٍ أو فعلٍ أو تقرير أو صفةٍ خِلقيةٍ أو خُلقية.

تعريف تاريخ السنة:

علم يبحث في مراحل وأطوار تدوين سنة النبي ﷺ وعناية العلماء بها، من زمن النبي ﷺ إلى وقتنا الحاضر المعاصر؛ من حفظها في الصدور، وتدوينها في الصحف، وجمع لمنثورها، ونفي لما اندسّ فيها، واستنباط من عيونها، وشرح لغامضها.

أهمية علم تاريخ السنة:

إن علم الحديث وفروعه لحمة واحدة تخدم بعضها البعض، ومن أهميتها ما يأتي:

١-أنه يؤصّل مكانة السنة في نفس طالب العلم.

٢-أنه يبرز ميزة هذه الأمة عن غيرها من الأمم؛ في نقل الرواية المتصلة إلى النبي ﷺ.

٣-أنه يخبر عن جهود الصحابة والتابعين فمن بعدهم من العلماء في حفظ السنة وتدوينه.

٤- أنه يعزز الثقة بالسنة النبوية في صدور المسلمين مع تفنيد الشبهات الواردة على تاريخها وتدوينها.

٥- أنه وسيلة للاطلاع على المصنفات الواردة في السنة، ومراتبها.

٦- أنه وسيلة مهمة لرد كثير من الشبهات التي أثارها المستشرقون.

بدايات التأليف في (تاريخ السنة) وأهم المؤلفات فيه

التصنيف في السنة على أنواع:

الأولى: التصنيف الضمني: وهي مصنفات تضمنت شيئا من تاريخ السنة، مثل:

- كتاب"الرسالة"، للشافعي.
- مقدمة صحيح مسلم.
- مقدمة سنن الدارمي.

الثانية: التصنيف في المصطلح (تقريباً في القرن الرابع الهجري)، ومن الأمثلة على ذلك:

- كتاب المحدث الفاصل بين الراعي الواعي، للإمام الرامهرمزي.
- كتاب معرفة علوم الحديث، للحاكم.
- الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، للخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ).
- جامع بيان العلم وفضله، للحافظ ابن عبد البر (ت ٤٦٣هـ).

الثالثة: الكتب المختصة في تاريخ السنة:

- تقييد العلم، للخطيب البغدادي.
- الرحلة في طلب الحديث، للخطيب البغدادي.
- مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة، للسيوطي.
- الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة، لمحمد بن جعفر الكتاني.
- مقدمة تحفة الأحوذي، للمباركفوري.
- الحطة في ذكر الصحاح الستة، لصديق حسن خان القنوجي.
- تاريخ فنون الحديث، لمحمد الخولي.

- السنة قبل التدوين، لمحمد عجاج الخطيب.
- دراسات في الحديث النبوي، لمحمد المصطفى الأعظمي.
- بحوث في تاريخ السنة المشرفة، للدكتور أكرم ضياء العمري.

أقسام السنة وعلاقتها بالقرآن وأنواع الأحكام التي جاءت بها

❖ أقسام السنة:

السنة ثلاثة أقسام من حيث ذاتها، وهي:

السنة القولية: وهي كل ما صدر عن النبي ﷺ من أقوال في مختلف الأعراض.

مثل: قوله ﷺ:"إنما الأعمال بالنيات"، وقوله ﷺ:"الدين النصيحة"، وقوله ﷺ:"كل مولود يولد على الفطرة"

السنة الفعلية: هي ما نقله الصحابة ﷺ من أفعاله على سبيل التشريع أو الأسوة والقدوة.

مثل: كيفية صلاته ﷺ وكيفية وضوئه وكيفية حجه وكيفية معاملاته وكيفية قضائه وكيفية جهاده وكيفية سيره وكيفية كلامه.

السنة التقريرية: هي كل الأقوال والأفعال التي صدرت من الناس أمام النبي ﷺ أو بلغته فأقرها أو سكت عنها أو أظهر استحسانه لها، من الأمثلة على ذلك:

- إقراره ﷺ لبعض الصحابة أكل الضب أمامه دون أن ينكر عليهم.
- إقراره ﷺ لعب الحبشة بالحراب في المسجد.
- إقراره ﷺ السيدة عائشة اللعب بعرائس البنات.

❖ علاقة السنة بالقرآن الكريم:

١- **السنة موافقة ومؤكدة ومقررة لما جاء في القرآن الكريم**، من الأمثلة عليه:

العلاقة	القرآن الكريم	السنة
الصلاة	قال تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ﴾	قوله ﷺ:"بني الإسلام على خمس... (وذكر منها)"إقام الصلاة".
الصيام	قال تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيكمُ الصِّيام﴾	قوله ﷺ:"بني الإسلام على خمس... (وذكر منها)"صوم رمضان".
الزكاة	قال تعالى: ﴿وآتوا الزكاة﴾	قوله ﷺ:"بني الإسلام على خمس... (وذكر منها)"إيتاء الزكاة".

٢-**السنة مبينة ومفسرة ومفصلة لما أُجمل في القرآن الكريم**، من الأمثلة عليه:

- الأحاديث الواردة في بيان كيفية صلاته ﷺ، فإن الله أمرنا بالصلاة، لكنه ترك الكيفية إلى السنة.
- الآيات الواردة في الوضوء ذكرت أركانه إجمالاً، ولكن تركت تفصيله ونواقضه وطريقته إلى السنة.

٣-**السنة الاستقلالية أو الزائدة على ما في القرآن، والصحيح في ذلك إثباته**، من الأمثلة عليه:

- تحريم أكل لحوم الحمُر الأهلية.
- تحريم أكل كل ذي ناب من السباع، وكل ذي مخلب من الطائر.
- تحريم أكل الميتة.
- تحريم الجمع بين المرأة وعمتها أو خالتها.
- تحريم لبس الذهب والحرير للرجال

المبحث الثاني: السنة في عهد النبي ﷺ والخلفاء الراشدين ﷺ

هدي النبي ﷺ وأساليبه في التعليم:

إن الله عز وجل بعث نبيه ﷺ معلماً ومزكّياً، كما قال تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾.

وكان النبي ﷺ قدوة في كل شيء، ولهذا جاء وأخذ أهل العلم من طريقة النبي ﷺ وهديه فوائد كثيرة.

من هديه ﷺ في التعليم وأساليبه:

١- **التعليم بالقدوة الطيبة والأسوة الحسنة:** كان النبي ﷺ خلقه القرآن، وقد أمرنا الله أن نقتدي به، وذلك في قوله تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾، ولا ريب أن التعليم بالقدوة الحسنة أوقع في النفس وأبلغ في التأثير وأدعى إلى التأسي.

٢- **مراعاة سنة التدرج:** كان ﷺ يبدأ بكبار العلم وأصوله وكبار المأمورات، ثم تفاصيلها. من الأمثلة على ذلك:

- عن ابن عباس ﷺ أن رسول الله ﷺ لما بعث معاذا إلى اليمن، قال: "إنك تقدم على قوم من أهل الكتاب، فليكن أول ما تدعوهم إلى أن يوحدوا الله تعالى، فإذا عرفوا ذلك، فأخبرهم أن الله فرض عليهم خمس صلوات في يومهم وليلتهم، فإذا صلوا، فأخبرهم أن الله افترض عليهم زكاة في أموالهم، تؤخذ من غنيهم فترد على فقيرهم، فإذا أقروا بذلك، فخذ منهم، وتوق كرائم أموال الناس".
- فسر أهل العلم قول الله ﴿كونوا ربانين﴾ بأن (**الرباني**: الذي يربي الناس بصغار العلم قبل كباره)، والمراد بصغار العلم: ما وضح من مسائله، وبكباره: ما دقّ منها.

٣- **اختيار الأوقات المناسبة مع القصد والاعتدال: الأمثلة عليه:**

- جاء في حديث ابن مسعود ﷺ أنه ﷺ قال: "كان النبي يتخوّلنا بالموعظة، مخافة السآمة علينا".
- قال الزهري رحمه الله: "إذا طال المجلس كان للشيطان فيه نصيب".

٤- مراعاة الفروق الفردية بين المتعلمين: الأمثلة عليه:

- عن أنس أن النبي ﷺ – ومعاذ رديفه على الرحل – قال: "يا معاذ بن جبل". قال: لبيك يا رسول الله وسعديك، قال: "يا معاذ". قال: لبيك يا رسول الله وسعديك – ثلاثا – قال: "ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله صدقا من قلبه، إلا حرمه الله على النار". صحيح البخاري.
- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ يَوْمَ القِيَامَةِ؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "لَقَدْ ظَنَنْتُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَنْ لاَ يَسْأَلُنِي عَنْ هَذَا الحَدِيثِ أَحَدٌ أَوَّلُ مِنْكَ لِمَا رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَى الحَدِيثِ، أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ القِيَامَةِ مَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ، أو نَفْسِهِ".

٥- التعليم بأسلوب الحوار والسؤال: فهذا الأسلوب يثير انتباه السامعين ويشوق نفوسهم، من الأمثلة عليه:

- عن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: "أتدرون من المفلس – قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع؛ فقال: "المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام، وزكاة..".

٦- التعليم بالتشبيه وضرب الأمثال: ومن الأمثلة عليه:

- عن أبي موسى ﷺ: أن النبي ﷺ قال: "إنما مثل الجليس الصالح وجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إما أن يُحْذِيك، وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحاً طيبة، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد منه ريحاً منتنة". متفق عليه.

٧- التعليم بالرسم على الأرض والتراب: -وهو إحدى الوسائل المعتمدة قديماً وحديثاً في مناهج التعليم-، ومن الأمثلة عليه:

- عن عبد الله بن مسعود قال: "خط لنا رسول الله ﷺ خطا، ثم قال: هذا سبيل الله، ثم خط خطوطاً عن يمينه وعن شماله، ثم قال: هذه سبل متفرقة، على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه، ثم قرأ: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِ﴾". مسند أحمد.

الأحاديث الواردة في النهي عن كتابة الحديث والإذن فيها وأقوال العلماء في ذلك

هذه الأمة لما بعث فيها النبي ﷺ كانت أمة أمية لا تقرأ ولا تكتب، وقد بين الله ذلك، فقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾.

وهذه الأمية بينها الرسول ﷺ في الحديث فقال: "إنَّا أُمَّة أُمِّيَّة؛ لا نكتب ولا نحسب".

والأمية التي كانت في الأمة في ذاك الوقت كانت على سبيل الغالب وليس على سبيل الإطلاق، فهناك من الصحابة من كانوا يقرؤون ويكتبون ولكنهم قلة، والسبب في ذلك:

١- أن الناس كانت حياتهم يسيرة وبسيطة فلا يحتاجون إلى القراءة أو الكتابة.
٢- أن حفظهم كان في صدورهم في الغالب.
٣- الكتابة وأسبابها ووسائلها لم تكن شائعة، فكانوا يكتبون في الأدوات الموجودة، كرقاق الحجارة واللخاف وجريد النخل والعظام.

ولما جاء الإسلام شجع على العلم والكتابة، فكان أول ما أُنزل على النبي محمد ﷺ، قوله تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ** خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ** اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ** الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ** عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾.

ومما يدل على أن الإسلام قد رغب بعد مجيئه في نشر القراءة والكتابة، ما ذكره ابن عباس ﷺ قال: كان ناس من الأسرى يوم بدر لم يكن لهم فداء، فجعل رسول الله ﷺ فداءهم أن يعلِّموا أولاد الأنصار الكتابةَ.

ما ورد عن النبي ﷺ في كتابة الحديث على نوعين:

النوع الأول- النهي:

في هذا الباب أحاديث قليلة؛ ولم يصح فيه إلا ما رواه همام بن منبه، عن زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار، عن أبي سعيد الخدري، أن رسول الله ﷺ قال: "لا تكتبوا عني، ومن كتب عني غير القرآن فليمحه، وحدِّثوا عني ولا حرج، ومن كذب علي - قال همام: أحسبه قال: متعمدا - فليتبوأ مقعده من النار". رواه مسلم.

موقف العلماء من هذا الحديث:

أقوال أهل العلم في هذا الحديث

تعددت مواقف أهل العلم من هذا الحديث على نحو ما يأتي.

١- **الترجيح**: وهو ترجيح أحاديث الإذن على أحاديث النهي، لأن أحاديث النهي لم يصح فيه شيء.

والسبب: أن حديث أبي سعيد ﷺ رفعه همام إلى النبي ﷺ، والصواب وقفه على أبي سعيد.

وقد ذهب إلى هذا الترجيح من أهل العلم: الإمام البخاري، وأبو داود.

٢- **النسخ**: قالوا: إن أحاديث الإذن ناسخة لأحاديث النهي؛ التي كانت في أول الإسلام.

وعليه من أهل العلم: ابن قتيبة، والنووي، وابن تيمية، وابن حجر.

٣- **الجمع**: قالوا: ظاهر هذه الأحاديث التعارض؛ ولكن يجمع بينهما بأن يقال: لكل من أحاديث الأمر والنهي حالة خاصة أو زمن معين.

والذين قالوا بالجمع من أهل العلم منهم: الخطيب، ابن القيم، وغيره.

وللجمع بين النوعين من هذه الأحاديث عدة أوجه، وهي كما يأتي:

- **الوجه الأول**: راجع إلى حال زمن نزول كتاب الله:
  - **النهي**: خاص لمن يجمع القرآن والسنة في صحيفة واحدة، حتى لا يقع الالتباس بين الآيات والأحاديث.
  - **الإذن**: لمن كتب السنة لوحدها مستقلة عن القرآن.
- **الوجه الثاني**: راجع إلى الشخص من ناحية حفظه:
  - **النهي**: لمن وثق بحفظه، وخشي له النبي ﷺ أن يتكل على الكتابة فينسى.
  - **الإذن**: لمن لا يثق بحفظه، فأذن له بالكتابة.
- **الوجه الثالث**: راجع إلى الشخص من ناحية كتابته:
  - **النهي**: إن لم يتقن الكتابة.
  - **الإذن**: إن أتقن الكتابة.

النوع الثاني – الإذن:

الأحاديث التي جاءت بالإذن بالكتابة كثيرة، منها:

- عن أَبي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: لَمَّا فَتَحَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَكَّةَ، قَامَ فِي النَّاسِ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ. ثُمَّ قَالَ: "إِنَّ اللَّهَ .... فَقَامَ أَبُو شَاهٍ – رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ – فَقَالَ: اكْتُبُوا لِي يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: اكْتُبُوا لِأَبِي شَاهٍ". (متفق عليه).
- عن أبي هُرَيْرَةَ ﷺ قال:"مَا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ أَحَدٌ أَكْثَرَ حَدِيثًا عَنْهُ مِنِّي، إِلاَّ مَا كَانَ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو؛ فَإِنَّهُ كَانَ يَكْتُبُ وَلاَ أَكْتُبُ". (صحيح البخاري).
- عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: كنت أكتب كل شيء أسمعه من رسول الله ﷺ أريد حفظه، فنهتني قريش وقالوا: أتكتب كل شيء تسمعه ورسول الله ﷺ بشر يتكلم في الغضب، والرضا، فأمسكت عن الكتاب، فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ، فأومأ بأصبعه إلى فيه، فقال: ((اكتب فو الذي نفسي بيده ما يخرج منه إلا حق)). (سنن أبي داود).
- قال عمر ﷺ: "قَيِّدُوا العِلمَ بالكِتاب".

ما استقر عليه أهل العلم:

إن أهل العلم قد استقروا على جواز كتابة السنة.

قال الحافظ ابن الحجر: "إن السلف اختلفوا في ذلك (التدوين) عملا وتركا، وإن كان الأمر استقر، لإجماع انعقد، على جواز كتابة العلم؛ بل على استحبابه؛ بل على وجوبه على من خشي النسيان ممن يتعين عليه تبليغ العلم".

منهج الصحابة والخلفاء الأربعة ﷺ في الرواية، وموقفهم من كتابة الحديث

موقف الصحابة من كتابة الحديث:

١- كان الأغلب من أصحاب النبي ﷺ يرون أنه يجوز كتابة الحديث، ومنهم:

- أبو بكر ﷺ، حيث أنه أنَّ أبا بَكْرٍ لما استُخْلِفَ، وجَّهَ أنسا إلى البَحرينِ فَكَتبَ لَهُ فرائض الصدقة.
- عمر ﷺ، روي عن كتابته لأبي موسى وغيرها، وروي أنه همّ بكتابة السنة واستشار الناس في ذلك، فجلس شهراً يستخير الله في ذلك، ثم أصبح يوماً وقد عزم ألا يكتبها.

- علي ﷺ ، كان له صحيفة في جراب سيفه.
- عبد الله بن عمرو ﷺ؛ فكان تدوينه للحديث أكثر من كل من سواه.

٢- هناك عدد من الصحابة الذين امتنعوا عن الكتابة، إما أخذاً بالحديث أو لعلة يرونها، منهم:

- أبو سعيد الخدري ﷺ، كان يقول لطلابه: "لا، لن نُكْتِبَكم، ولن نجعله قرآناً؛ لكن احفظوا عنا كما حفظنا نحن عن رسول الله ﷺ".
- روي عن أبي موسى ﷺ في النهي عن كتابته، وإن روي عنه أيضاً في جوازه.

منهج الصحابة في رواية السنة:

بعد وفاة النبي ﷺ استمر الصحابة ﷺ في الاهتمام بسنته ﷺ، واتبعوا منهجاً متين الأساس من أجل صيانتها والمحافظة عليها.

ومن أبرز القواعد المنهجية التي سلكها أصحاب النبي ﷺ في رواية السنة، ما يأتي:

١- **إقلالهم من الرواية وترك التوسع فيها:** فإنهم كانوا يتحفظون عن رواية الأحاديث ويقلون منها؛ إلا بقدر الحاجة والمناسبة، كمسائل القضاء والفتوى.

- **أسباب إقلالهم من الرواية:**

أ. خشيتهم من الوقوع في الخطأ أو الزيادة فيقعوا في الكذب على رسول الله ﷺ من حيث لا يشعرون.

ب. حتى لا يتخذ ذلك المغرضون ذريعة للتزييد في أحاديث النبي ﷺ وتزييفها والدسّ فيها.

- **شواهد إقلالهم من الرواية:**

أ. عن ابن الزبير قال: قلت للزبير: إني لا أسمعك تحدث عن رسول الله ﷺ كما يحدث فلان وفلان، قال: أما إني لم أفارقه ولكن سمعته يقول: "من كذب علي فليتبوأ مقعده من النار". صحيح البخاري.

ب. عن أنس بن مالك، أنه قال: إنه ليمنعني أن أحدثكم حديثا كثيرا أن رسول الله ﷺ قال: "من تعمد علي كذبا فليتبوأ مقعده من النار". صحيح مسلم.

ج. قال زيد بن أرقم: كبرنا ونسينا، والحديث عن رسول الله ﷺ شديد.

إكثار بعض الصحابة من الرواية، وذلك لأسباب:

أ. أن بعضهم قد اشتهروا بالحفظ والتثبت، كأبي هريرة ﷺ.

ب. أن بعضهم طالت أعمارهم فاحتيج إلى ما عندهم فسئلوا فلم يمكنهم الكتمان، ومنهم: (أنس بن مالك – عائشة بنت أبي بكر – أبو سعيد الخدري) رضي الله عنهم.

٢- تثبيتهم في قبول الرواية:

هذه إحدى القواعد المنهجية، حيث أنهم كانوا يمسكون عن الرواية ويقلون من التحديث إلا بقدر الحاجة، فقد كانوا يثبتون فيما يسمعونه، ومن الأمثلة على ذلك:

أ. عن قبيصة بن ذؤيب، أنه قال: جاءت الجدة إلى أبي بكر الصديق تسأله ميراثها؟ فقال لها أبو بكر: ما لك في كتاب الله شيء، وما علمت لك في سنة رسول الله ﷺ شيئا، فارجعي حتى أسأل الناس، فسأل الناس، فقال المغيرة بن شعبة: حضرت رسول الله ﷺ "أعطاها السدس"، فقال أبو بكر: هل معك غيرك؟ أخرجه مالك في الموطأ.

ب. عن أبي سعيد قال: كنت في مجلس من مجالس الأنصار؛ إذ جاء أبو موسى كأنه مذعور، فقال: استأذنت على عمر ثلاثا، فلم يؤذن لي، فرجعت. فقال: ما منعك؟ قلت: استأذنت ثلاثا فلم يؤذن لي فرجعت، وقال رسول الله ﷺ:"إذا استأذن أحدكم ثلاثا فلم يؤذن له، فليرجع"، فقال: والله لتقيمن عليه ببينة، أمنكم أحد سمعه من النبي ﷺ ؟ فقال أبي بن كعب: والله لا يقوم معك إلا أصغر القوم. فكنت أصغر القوم، فقمت معه، فأخبرت عمر أن النبي ﷺ قال ذلك.

ج. وفي رواية الموطأ قال عمر لأبي موسى: أما أني لم أتهمك ولكن خشيت أن يتقول الناس على الرسول ﷺ.

د. وفي رواية الأدب المفرد قال عمر لأبي موسى: والله إن كنت لأمينا على حديث رسول الله ولكن أحببت أن أستثبت.

هـ. عن مجاهد قال: جاء بشير العدوي إلى ابن عباس، فجعل يحدث، ويقول: قال رسول الله ﷺ. قال رسول الله ﷺ ، فجعل ابن عباس لا يأذن لحديثه، ولا ينظر إليه، فقال: يا ابن عباس، ما لي لا أراك تسمع لحديثي؟ أحدثك عن رسول الله ﷺ ولا تسمع. فقال ابن عباس: إنا كنا

مرة إذا سمعنا رجلا يقول: قال رسول الله ﷺ ابتدرتْه أبصارنا، وأصغينا إليه بآذاننا، فلما ركب الناس الصعب والذلول لم نأخذ من الناس إلا ما نعرف. (صحيح مسلم).

٣- منعهم من الرواية بما قد يعلو على أفهام العامة:

معلوم أن تحديث عامة الناس بكل شيء قد يفضي إلى فتنتهم وريبتهم وربما اعتراضهم على ما لم يفهموه من السنة ولم تهضمه عقولهم من المرويات، ومن أقوال الصحابة ﷺ مما يدل على ذلك:

أ. عن علي ﷺ قال: "حدثوا الناس بما يعرفون أتحبون أن يكذب الله ورسوله". (صحيح البخاري).

ب. عن ابن مسعود قال: ما أنت بمحدث قوما حديثا لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة. (صحيح مسلم).

تدوين الصحابة للسنة النبوية ونماذج من صحائفهم ومظانها في المصنفات والجوامع بعد ذلك

سبق القول بأن النبي ﷺ كان قد نهى في بداية الأمر عن كتابة ما عدا القرآن، لكنه ﷺ بعد ذلك أذن بالكتابة، فكتب جماعة من الصحابة ودونوها في صحف خاصة بهم، ومن تلك الصحف:

١ -صحيفة الصادقة:

لعبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ.

الأحاديث المذكورة في كتابته:

أ. عن أبي هُرَيْرَةَ ﷺ قال: "مَا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ أَحَدٌ أَكْثَرَ حَدِيثًا عَنْهُ مِنِّي، إِلاَّ مَا كَانَ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو فَإِنَّهُ كَانَ يَكْتُبُ وَلاَ أَكْتُبُ".

ب. كان عبد الله بن عمرو قد استأذن النبي ﷺ في كتابة ما يسمعه منه، فأذن له بذلك فقال: "اكتُب فو الَّذي نَفسي بيدِهِ ما خرجَ منهُ إلَّا حقّ".

ما ورد في شدة اهتمامه بالصحيفة:

قال: ما يرغبني في الحياة إلا الصادقة والوهط. فأما الصادقة: فصحيفة كتبتها من رسول الله ﷺ، وأما الوهط: فأرض تصدق بها عمرو بن العاص ﷺ كان يقوم عليها.

سندها في كتب الأحاديث:

مروية عن طريق حفيده عمرو بن شعيب بن محمد بن عبد الله بن عمرو بن العاص، عن أبيه، عن جده عبد الله بن عمرو بن العاص.

وقد انحطت درجة أحاديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده إلى ما دون الصحيح بسبب اختلاف العلماء في عود الضمير في قوله: (عن أبيه، عن جده)، وقد اختلفوا على قولين:

١. أن (جده) عائد إلى جد عمرو بن شعيب الأقرب وهو محمد، فيكون الخبر مرسلاً.
٢. أن (جده) عائد إلى جده الأعلى عبد الله بن عمرو، فيكون الخبر متصلاً.

الراجح عند أكثر العلماء: هو القول الثاني، وعليه فالإسناد متصل، وفي أعلى درجات الحسن.

٢ -صحيفة علي:

لعلي بن أبي طالب ﷺ.

الأحاديث المذكورة في كتابته:

عن أبي الطفيل أن عليا سئل: أخصّكم رسول الله ﷺ بشيء؟ فقال: ما خصنا رسول الله ﷺ بشيء لم يعم به الناس كافة إلا ما كان في قراب سيفي هذا. قال: فأخرج صحيفة مكتوب فيها: "لعن الله من ذبح لغير الله، ولعن الله من سرق منار الأرض، ولعن الله من لعن والده، ولعن الله من آوى محدثا".

٣ -صحيفة سعد:

لسعد بن عبادة الأنصاري ﷺ.

٤ -صحيفة سمرة:

لسمرة بن جندب الفزاري ﷺ.

ذكر ابن حجر في ترجمة ابنه سليمان بن سمرة أنه روى عن أبيه نسخة كبيرة.

٥ -صحيفة عباس:

لعبد الله بن عباس رضي الله عنهما.

المبحث الثالث: السنة بعد عصر الخلفاء الراشدين إلى نهاية القرن الثالث

الرحلة في طلب الحديث: الأصل فيها، وأهميتها، وفوائدها، ونماذج من رحلات الصحابة والتابعين فمن بعدهم:

كانت الرحلة في طلب الحديث من الأمور التي اعتنى الطلبة به في عصور الحديث الذهبية ومن لوازم طريقته في التحصيل العلمي.

عقد الإمام البخاري في صحيحه أبواباً ثلاثة متعلقة بالرحلة في طلب العلم، والدارمي كذلك بوّب عليها.

ثم عندما ألف الإمام الرامهرمزي كتابه المحدث الفاصل بوّب فيها كذلك ثلاثة أبواب في الرحلة العلمية.

والحاكم بوّب كذلك وذكر في علو الإسناد

وكذلك الخطيب البغدادي وابن عبد البر ذكر في كتاب جامع بيان العلم وفضله.

ثم صنف الخطيب البغدادي فيه تصنيفاً مستقلاً سماه الرحلة في طلب الحديث.

قال الحافظ أبو بكر في فضل الخطيب: كل من أنصف علم أن المحدثين بعد الخطيب عيال على كتبه.

الأصل في الرحلة في طلب الحديث

الأدلة على مشروعيتها واستحبابها:

قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾.

قال القاضي عياض: هذا أصل في وجوب طلب العلم والرحلة في طلب السنن.

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: "من سلك طريقا يلتمس فيه علما؛ سهل الله له به طريقا إلى الجنة". (متفق عليه).

ومما يبين المشروعية للرحلة في طلب العلم: قصة نبي الله موسى عليه السلام عندما ارتحل إلى الخضر ليتعلم منه.

نشأة الرحلة:

أول ما نشأت الرحلة في زمن النبي ﷺ، فكانت الوفود تتجه إليه، فبعضها لإعلان الإسلام، وبعضها للمبايعة، وبعضها لطلب العلم، وبعضها للاستفتاء.

من الأمثلة على ذلك:

الاستفتاء: عن عقبة بن الحارث: أنه تزوج ابنة لأبي إهاب بن عزيز فأتته امرأة فقالت: إني قد أرضعت عقبة والتي تزوج، فقال لها عقبة: ما أعلم أنك أرضعتني ولا أخبرتني، فركب إلى رسول الله ﷺ فسأله، فقال رسول الله ﷺ: "كيف وقد قيل؟" ففارقها عقبة ونكحت زوجا غيره.

طلب العلم: عن مالك بن الحويرث: أتينا إلى النبي ﷺ ونحن شببة متقاربون، فأقمنا عنده عشرين يوما وليلة، وكان رسول الله ﷺ رحيما رفيقا، فلما ظن أنا قد اشتهينا أهلنا – أَوْ قَدِ اشْتَقْنَا – سألنا عمن تركنا بعدنا، فأخبرناه، قال: "ارجعوا إلى أهليكم، فأقيموا فيهم، وعلموهم، ومروهم" –وذكر أشياء أحفظها أو لا أحفظها– "وصلوا كما رأيتموني أصلي، فإذا حضرت الصلاة فليؤذن لكم أحدكم وليؤمّكم أكبركم". (متفق عليه واللفظ للبخاري).

ثم أصحاب رسول الله كانوا قد تفرقوا في الأمصار بعد وفاته ﷺ ونزلوا بلدان عديدة، فكان لزاماً على من يريد سماع حديث رسول الله ﷺ وجمعه أن يسافر إليهم وينتقل من بلد إلى بلد.

ومن الأمثلة على ذلك:

أن جابر بن عبد الله رحل مَسِيرَةَ شَهْرٍ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أُنَيْسٍ فِي حَدِيثٍ وَاحِدٍ.

وأن أبا أيوب الأنصاري رحل من المدينة إلى عقبة بن عامر بمصر يسأله عن حديث سمعه من النبي ﷺ، وقال له: [حدثنا ما سمعته من رسول الله ﷺ في ستر المسلم، لم يبق أحدٌ سمعه غيري وغيرك] فلما حدثه ركب أبو أيوب راحلته راجعاً إلى المدينة، وما حلّ رحله.

قال أبو العالية: كنا نَسمَعُ الروايةَ عن أصحاب رسول الله ﷺ ونحن بالبصرة، فما نرضى حتى نركبَ إلى المدينة فنَسمَعَها مِن أفواههم.

وقَالَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيِّبِ: إِنْ كُنْتُ لَأَسِيرُ الْأَيَّامَ وَاللَّيَالِيَ فِي طَلَبِ الْحَدِيثِ الْوَاحِدِ.

واستمر الحال على هذا في عهد التابعين فمن بعدهم، فكان الناس يرحلون إلى العلماء ويقصدونهم من بلدان عديدة.

أهمية الرحلة:

للرحلة في طلب الحديث أهمية كبرى.

قال ابن الصلاح: إذا فرغ من سماع العوالي والمهمات التي ببلده فليرحل إلى غيره.

قال يحيى بن معين: أربعة لا تؤنِس منهم رشداً: (حارس الدرب – نادي القاضي – ابن المحدث – رجل يكتب في بلده، ولا يرحل في طلب الحديث)، وكأنه يقول: هؤلاء لا ترجو منهم شيئاً.

قال عبد الله بن أحمد بن حنبل: سألت أبي – رحمه الله – عمن طلب العلم، ترى له أن يلزم رجلا عنده علم فيكتب عنه، أو ترى أن يرحل إلى المواضع التي فيها العلم فيسمع منهم؟ قال: "يرحل يكتب عن الكوفيين والبصريين وأهل المدينة ومكة، يشام الناس يسمع منهم".

أسباب الرحلة:

- طلب العلو في السند: وهو أعظمها ومن السنة والدين أيضاً، قال الإمام أحمد: طلب علو الإسناد من الدين.
- لقاء الحفاظ والأئمة والشيوخ ومذاكرة الحديث معهم والاستفادة منهم.

فوائد الرحلة:

- تعلم الجديد من المتون وأسانيدها، والاستزادة منها، ومعرفة مصادرها ومخارجها.
- التثبت من صحة الأحاديث عن طريق سماعها من الراوي الأصل، والتعرف على أحوال الرواة.
- تكثير طرق الحديث الواحد بسماعه من عدد من الشيوخ في أماكن مختلفة.

أشهر من عُرف بالرحلة:

لا تكاد تجد محدثا إلا وله رحلة سواءً كانت رحلة قصيرة الأمد أو طويلة الأمد، وبعض المحدثين رحل إلى أماكن كثيرة واستغرق البلدان، وبعضهم دون ذلك، ومنهم:

ابن المبارك: رحل إلى اليمن والعراق ومصر والجزيرة (المنطقة بين الدجلة والفرات) والشام.

ومنهم أيضاً: أسد بن موسى والإمام أحمد وإسحاق بن راهويه ويحيى بن معين وأبو داود.

أشهر البلدان في الرحلة:

لم يكن يوجد بلد محدد استمرت الرحلة إليه، حيث تعلقت الرحلة بوجود العلماء فيه، ومن أشهر هذه البلدان:

المدينة المنورة: تعد أشهرها فكان يُرحل إليها في زمن الصحابة والتابعين ومن بعدهم، ولكن جاءت أوقات لم يكن يُرحلُ إليها آنذاك، مثل القرن الرابع لعدم وجود أهل العلم فيها، والقرن السادس لغلبة الرافضة عليها.

مكة: تعد أحد البلدان المشهورة بعد المدينة، ولم تنقطع الرحلة إليها؛ لأنها كانت تأتيها الناس والعلماء للحج، فكانت الرحلة مستمرة إليها، ووجدت أزمان كثرت الرحلة إليها فيها كأيام سفيان بن عيينة وأيام قلت الرحلة إليها فيها.

الكوفة والبصرة: كثرت الرحلة إليهما في عصر التابعين وعصر أتباعهم، ثم أصبح لا يُرحل إليهما لعدم وجود العلماء فيهما.

بغداد: لم يكن يُرحل إليها في زمن الصحابة، وكان أول من نشر العلم فيها هشام بن عروة ثم شعبة ثم كثرت إليها الرحلة في زمن الإمام أحمد وتلاميذه.

دمشق: كثُرت إليها الرحلة في زمن بني أمية.

مصر: كثُرت إليها الرحلة في زمن عمرو بن الحارث وابن لهيعة والليث بن سعد والشافعي.

أدب المحدثين في الرحلة (الآداب المنهجية):

١- أن يقدم السماع من علماء بلده ثم إذا فرغ يرتحل إلى غيرهم.
٢- أن يستشير أهل العلم في البلاد التي يُرتحلُ إليها.
٣- أن يهتم بكثرة المسموع لا بكثرة الشيوخ.

متى يستغنى عن الرحلة؟

قال الخطيب البغدادي: إن المقصود من الرحلة تحصيل علو الإسناد وقدم السماع ولقاء الحفاظ ومذاكرتهم، فإذا وجد في بلده وعُدِمَ في غيره أُستغني عن الرحلة.

نماذج من رحلات المحدثين:

رحلة أبي حاتم الرازي (محمد بن إدريس):

قال ابنه عبد الرحمن عن طلب والده العلمَ: "سَمِعت أبي يَقول: أول سنة خرجت في طلب الحديث أقمت سبع سنين، أحصيت ما مشيت على قدمي زيادة على ألف فرسخ، لم أزل أحصي حتى زاد على ألف فرسخ تركته، أما ما كنت سرت أنا من الكوفة إلى بغداد فمالا أحصي كم مرة، ومن مكة إلى المدينة مرات كثيرة، وخرجت من البحرين من قرب مدينة صلا إلى مصر ماشيا، ومن مصر إلى الرملة ماشيا، ومن الرملة إلى بيت المقدس، ومن الرملة إلى عسقلان، ومن الرملة إلى طبرية، ومن طبرية إلى دمشق، ومن دمشق إلى حمص، ومن حمص إلى أنطاكية، ومن أنطاكية إلى طرسوس، ثم رجعت من طرسوس إلى حمص، وكان بقي علي شيء من حديث أبي اليمان فسمعت، ثم خرجت من حمص إلى بيسان، ومن بيسان إلى الرقة، ومن الرقة ركبت الفرات إلى بغداد، وخرجت قبل خروجي إلى الشام من واسط إلى النيل، ومن النيل إلى الكوفة، كل ذلك ماشيا، كل هذا في سفري الأول، وأنا ابن عشرين سنة أجول سبع سنين".

عناية التابعين ومن بعدهم بالسنة النبوية وحفظها:

عرف التابعين قيمة السنة النبوية ومكانتها في الإسلام فعنوا بها أعظم عناية، ومن صور عنايتهم بالسنة:

١ -التمسك بالسنة والالتزام بها:

هذا الأمر في الحقيقة هو الغاية، حيث أن الاعتناء بالسنة والتمسك بها يدل على مكانتها وعلى قيام الدين عليها، فإذا تُركت السنة ولم يُتمسك بها في العقيدة ولا في منهج المرء وتأملاته ولا في عبادته ولا في أخلاقه، فحينئذ تكون عليه حجة.

وللتابعين ومن بعدهم من الأئمة أقوال كثيرة تدل على عظيم عنايتهم بالسنة وتمسكهم بها:

قال الزهري: " كان من مضى مِن علمائنا يقولون: الاعتصام بالسنة نجاة".

وقال الأوزاعي: "إذا بلغك عن رسول الله ﷺ حديث، فإياك أن تقول بغيره؛ فإن رسول الله ﷺ كان مبلّغاً عن ربه".

وقال الأوزاعي أيضاً: "ندور مع السنة حيث دارت".

وأثنى الله ﷻ على الصحابة في سورة النور، فقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ﴾.

قال ابن القيم: "فإذا جَعل من لوازم الإيمان أنهم لا يذهبون مذهباً إذا كانوا معه إلا باستئذانه، فأولى أن يكون مِن لوازمه أن لا يذهبوا إلى قول ولا مذهب علمي إلا بعد استئذانه وإذنه، يُعرَف بدلالة ما جاء به على أنه أذن فيه".

٢ -السؤال عن الإسناد:

فقد كانوا يسألون عن الإسناد ويتحرون ثقة الرواة والتأكد من سلامة عقيدتهم، خاصة بعد ظهور الفتن بمقتل عثمان ﷺ وأيضاً بظهور البدع، ومن الأدلة على ذلك:

أ. قال محمد بن سيرين: "إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم".

ب. ما سبق ذكره فيما حدث بين بشير العدوي وابن عباس في موضوع تثبت الصحابة في الرواية.

ج. قال أبو سفيان الثوري: "الإسناد سلاح المؤمن، إذا لَمْ يَكُنْ مَعَهُ سلاح فبأي شيء يقاتل؟"

٣ -التثبت والاحتياط عند تحملهم وتلقيهم لها:

وذلك لها أوجه:

أ. السؤال عن الراوي والتأكد منه.

ب. الرجوع إلى صاحب القصة الأصل، وعدم الاكتفاء بسماعه من المتأخر.

ج. أخذ المشهور من العلم، وترك الشاذ.

ومن الأدلة على ذلك:

- قال عروة بن الزبير: ذكر مروان في إمارته على المدينة أنه يتوضأ من مس الذكر إذا أفضى إليه الرجل بيده، فأنكرت ذلك، وقلت: لا وضوء على منْ مسّه، فقال مروان: أخبرتني بسرة بنت صفوان أنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر ما يتوضأ منه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ويتوضأ من مس الذكر»، قال عروة: فلم أزل أماري مروان حتى دعا رجلا من حرسه فأرسله إلى بسرة، فسألها عما حدثت مروان، فأرسلت إليه بسرة بمثل الذي حدثني عنها مروان".
- وقال يزيدُ بن أبي حبيب: إذا سمعتَ الحديث فانشُده كما تُنشد الضالَّة؛ فإن عُرف وإلا فدَعه.

قاعدة مستنبطة: إذا سمعت حديث رسول الله ﷺ فاسأل وابحث عنه، فإن عرفت صحة الحديث وقبوله، فخذه، وإلا فدعه.

٤ -العناية بالحفظ والمذاكرة:

أ–العناية بالحفظ لها طرق، ومنها:

- الحفظ القوي، والدليل على ذلك: قال الشعبي: ما كتبت سوداء في بيضاء إلى يومي هذا، ولا حدثني رجل بحديث قط إلا حفظته، ولا أحببت أن يعيده علي.
- الحفظ بالتكرار، والدليل على ذلك: قال علقمة : أَطِيلُوا كرَّ الْحَدِيثِ لَا يَدْرُسُ.

ب–العناية بالمذاكرة:

المذاكرة: هو مدارسة الحديث سواءً مع نفسه أو مع غيره كان شيخاً أو تلميذاً أو قريناً. والمذاكرة كان لها شأن ومنهج عند طلاب الحديث، ومن أعظم ما يعين على الحفظ مذاكرة أهل العلم.

أنواع المذاكرة:

- المذاكرة على الأبواب: بأن يطرح بابٌ من أبواب العلم؛ يتذاكرون الأحاديث والآثار فيه.
- المذاكرة مع الأقران: مثل أن يذكر أحدهم طرف الحديث ويكمله الآخر.

قال كثير من أهل العلم: أن ما يُسمعُ من المذاكرة لا يعتدُّ به في الرواية إلا نادراً.

٥ -الرحلة في طلب السنة:

كثُرت رحلة التابعين والعلماء إلى مختلف الأمصار لسماع حديث النبي ﷺ، وقد سبق ذكره.

٦ -العناية بالكتابة:

اعتنى كثير من التابعين بكتابة الحديث، وسيأتي الحديث عنه في المبحث التالي.

طرق التابعين ومن بعدهم في ضبط الحديث، وموقفهم من الرواية بالمعنى:

طرق التابعين في ضبط الحديث والأوجه الدالة عليه:

١-الكتابة:

كان التابعون يكتبون الحديث ويحضون عليه ويحرصون على ذلك، ولأجل ذلك نشطت الكتابة في عهدهم وانتشرت على نطاق واسع أوسع مما كان عليه الحال في عهد الصحابة.

ومما يدل على ذلك:

- قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو: "لَا، وَاللَّهِ، لَا أُحَدِّثُكُمْ حَتَّى تَكْتُبُوهُ أَخَافُ أَنْ تَغْلَطُوا عَلَيَّ".
- قال طلحة بن عبدالملك: أتيتُ القاسم وسألته عن أشياء، فقلت له: أكتبها؟ فقال: نعم، ثم قال لابنه: انظر في كتابه، لا يزيدُ عليَّ شيئاً ، قلتُ: يا أبا محمد إني لو أردتُّ أن أكذب لم آتك، قال: إني لم أُرد، إنما أردت إن أسقطتّ شيئاً يعدِّله لك.

٢-إصلاح الغلط وضبط الكتاب:

من ذلك توبيخهم إذا كانت مبهمة أو مستعجمة، ومن أقوال العلماء فيه:

- قال الأوزاعي: العَجْمُ نُور الكتاب.
- قال الشافعي: إذا رأيتم الكتاب فيه إصلاح وإلحاق فاشهدوا له بالصحة.
- قال أبو زرعة الدمشقي: رأيت عفان يحض أصحاب الحديث على الضبط والتغيير ليصححوا ما أخذوا عنه من الحديث.

٣-معارضة الكتاب على أصله ومقابلته عليه:

يعدُّ من أهم الأوجه الدالة على عناية التابعين بضبط الحديث، وأنهم كانوا لا يقبلون ما كُتب أو ما اقتني حتى يتثبتوا: أن يقابله على أصل شيخه، فيتأكد بأن ما كتب أو ما اقتنى موافق لأصل الحديث.

موقف التابعين من الرواية بالمعنى:

الراوية بالمعنى: هو أن يأتي بالحديث معنىً لا لفظاً.

الأمثلة على ذلك:

قال ﷺ: "مَثَلُ الْمُنَافِقِ كَمَثَلِ الشَّاةِ الْعَائِرَةِ بَيْنَ الْغَنَمَيْنِ".

الأصل فيه: قال ﷺ: "إنَّ مَثلَ المنافِقِ يَومَ القِيامةِ كالشاةِ بينَ الرَّبيضَينِ مِن الغنَمِ".

اختلف أهل العلم في الرواية بالمعنى على قولين:

القول الأول – المنع:

جماعة من أهل العلم رجّحوا المنع من الرواية بالمعنى، وأنه ينبغي للراوي أن يؤدي الحديث كما سمعه بحروفه وألفاظه، ولهذا كان بعض الصحابة يقلون من الرواية، ويتشددون في الرواية بالمعنى، ويخشون أن يبدلون حرفاً بحرف.

وعلى هذا القول من أهل العلم: ابن سيرين، والقاسم بن محمد، والزهري، ومالك بن أنس.

القول الثاني – الجواز:

مذهب الجمهور، ومنهم: الحسن البصري، وابن دينار، والشافعي، والثوري، وغيرهم.

واستقر العمل عند أكثر العلماء على جواز الرواية بالمعنى، ولكن بشرطين:

١- أن يكون الراوي عالماً بمدلولات الألفاظ.

٢- أن يجزم الراوي بكونه قد أدّى المعنى المراد من الحديث.

موقف علماء التابعين من كتابة الحديث، ونماذج من صحائفهم، ومظانها في المصنفات والمراجع

كان بعض علماء التابعين يكرهون كتابة الحديث خشية الاعتماد عليها، ولكن الكثير منهم كانوا على خلاف هذا فكانوا يكتبون الحديث ويحضون عليه، ولأجل هذا نشطت الكتابة في عهدهم، وانتشرت على نطاق واسع.

أسباب توسع علماء التابعين في كتابة السنة:

١- موت كثير من حفّاظ السنة من الصحابة وكبار التابعين، فخيف بذهابهم ذهاب كثير من السنة وضياعها.
٢- انتشار الروايات، وطول الأسانيد نوعاً ما، وكثرة أسماء الرواة وكناهم وأنسابهم.
٣- ظهور البدع والكذب، مما أوجب الكتاب لحماية السنة من دخول التحريف عليها.

من أقول علماء التابعين في الترغيب في كتابة الحديث:

- قال الحسن البصري: ما قيّد العلم بمثل الكتاب، إنّما نكتبه لنتعاهده.
- قال عامر الشعبي: إذا سمعتم مني شيئاً فاكتبوه ولو في حائط.
- قال أبو قلابة الجرمي: الكتابُ أحبُّ إليَّ من النسيان.

نماذج من صحائف التابعين في السنة النبوية:

الصحيفة الصحيحة:

لهمّام بن منبّه.

عدد أحاديثه: (٣٩١).

سنده: تروى من طريق عبد الرزاق عن معمر عن همّام بن منبه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ. ومن المعلوم أن الإمام أحمد قد نقلها بتمامها في "مسنده" في موضع واحد، كما نقل البخاري عدداً كثيراً من أحاديثها في "صحيحه" في أبواب شتى.

أثر الخلافات السياسية والمذهبية والمتغيرات الاجتماعية في رواية الحديث

قد حدث في النصف الثاني من خلافة عثمان ﷺ اختلاف وشقاق كبير، إذ نقم البعض على عثمان فاشتعلت الفتنة وأسفرت عن مقتل عثمان، ولكن ما أحدثته من تصدع في المجتمع الإسلامي ظل أثره باقيا، فقد ولدت الأحقاد وأزالت الصفاء من نفوس الكثيرين، فتفرق الناس إلى شيع متنازعة وأحزاب متناحرة، وكان هذا التفرق في بدايته سياسيّاً، ثم ما لبث أن انقلب دينيّاً ومذهبيّاً، مثل: الخوارج – الجهمية – الشيعة، وغيرها.

عن ابن عباس ﷺ قال: "كنا نحدث عن رسول الله إذ لم يكن يكذب عليه، فلما ركب الناس الصعب والذلول تركنا الحديث عنه.

عندما رأى أصحاب النبي ﷺ ذلك أخذوا يتشددون في باب الرواية من أجل المحافظة على السنة، ويحتاطون في قبول الأحاديث، ولا يقبلونها إلا بعد السؤال عن الإسناد ومعرفة حال الرواة.

وفي الوقت نفسه أخذ علماء التابعين يرجعون إلى من بقي من الصحابة ويرحلون إليهم ليسألوهم عن الأحاديث كي يتأكدوا من ثبوتها، وكان الصحابة يبينون لهم، ويميزون بين الغث والسمين.

عن أبي العالية الرياحي قال: كنا نسمع الرواية عن أصحاب رسول الله ﷺ بالبصرة، فلم نرض حتى ركبنا إلى المدينة، فسمعناها من أفواههم.

هكذا أصبح السؤال عن الإسناد وطلب معرفة أحوال الرواة محل اهتمام كبير بين العلماء منذ وقت مبكّر، وكلما مرّ الوقت أكثر ازداد اهتمامهم أكثر، حتى أصبح ينظرُ إلى الحديث الذي لا سند له كالبيت الذي لا أساس له.

جهود المحدثين في حماية السنة النبوية من أخطاء الرواة ووضع الوضاعين

الأصل في الكلام على الرواة:

ذُكر في كتاب الله آيات كثيرة تدل على ذمّ الكفّار والمنافقين، ومن ذلك:

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ﴾.

وجه الدلالة: أنَّ خبر الفاسق غير مقبول، ووُصف في الآية صاحب الخبر بأنه فاسق، حيث أنها نزلت في شخصٍ بعينه من المنافقين.

قال تعالى: ﴿ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾، وقال تعالى: ﴿ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ﴾.

وجه الدلالة: أنَّ شهادة غير العدل مردودة.

ذُكر أحاديث كثيرة أثنى فيها النبي ﷺ على أصحابه أو بعض قبائل الصحابة. وحذّر فيها من المنافقين جملةً وتفصيلاً، والأمثلة في ذلك كثيرة ولا يحتاجُ إلى تبيينها.

ولهذا انطلق الصحابة والتابعون ومن بعدهم في حماية السنة بالكلام على الرواة، من أن الأصل هو حماية السنة من أن يدخل فيها ما ليس منها، فالأصل هو النصيحة لرسول الله ﷺ، وأيضاً الأصل هو أداء الأمانة، وأيضاً الأصل هو بيان الحق من الباطل.

مقصد المحدثين عن الكلام في الرواة:

لم يكن كلام المحدثين في الرواة تشفّياً ولا شخصيّاً ولا بسبب العداوة، وإنما كان حماية للدين وأن يدخل فيه ما ليس منه، ونصيحة لرسول الله ﷺ ونصرته، يبين ذلك بعض الآثار المروية عن أئمة المحدثين:

- قَالَ ابْنُ الْمُبَارَكِ: الْمُعَلَّى بْنُ هِلَالٍ هُوَ إِلَّا أَنَّهُ إِذَا جَاءَ الْحَدِيثُ يَكْذِبُ، قَالَ: فَقَالَ لَهُ بَعْضُ الصُّوفِيَّةِ: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ تَغْتَابُ، قَالَ : اسْكُتْ، إِذَا لَمْ نُبَيِّنْ كَيْفَ يُعْرَفُ الْحَقُّ مِنَ الْبَاطِلِ؟
- رُوي عن ابن عيينة أنه قال في الجرح: إن هذ أمانة وليس بغيبة.
- قال يحيى بن سعيد القطّان: سَأَلْتُ سُفْيَانَ الثَّوْرِيَّ وَشُعْبَةَ وَمَالِكًا وَابْنَ عُيَيْنَةَ عَنِ الرَّجُلِ لَا يَكُونُ ثَبْتًا فِي الْحَدِيثِ، فَيَأْتِينِي الرَّجُلُ، فَيَسْأَلُنِي عَنْهُ، قَالُوا: أَخْبِرْ عَنْهُ أَنَّهُ لَيْسَ بِثَبْتٍ.

  الشاهد: أن الكلام في الرواة من الدين، وليس من الأمور المحرّمة؛ كالغيبة ونحوها.
- قال ابن مهدي: كنتُ مع سفيان الثوري، فمررنا برجلٍ، فقال: كذّاب، قال الثوري: والله لو لا أنه لا يحلُّ لي أن أسكت لسكتُّ.
- قال محمد بن بندار لأحمد بن حنبل: إنه ليشتد علي أن أقول: فلان ضعيف، فلان كذاب، قال أحمد: إذا سكت أنت وسكت أنا، فمتى يعرف الجاهلُ الصحيح من السقيم.

الآثار الخمسة المذكورة أعلاه قد لخصه الإمام مسلم في مقدمة صحيحه، ولخصه ابن الأثير في مقدمة جامع الأصول:

قال الإمام مسلم: وَإِنَّمَا أَلْزَمُوا أَنْفُسَهُمُ الْكَشْفَ عَنْ مَعَايِبِ رُوَاةِ الْحَدِيثِ وَنَاقِلِي الأَخْبَارِ، وَأَفْتَوْا بِذَلِكَ حِينَ سُئِلُوا؛ لِمَا فِيهِ مِنْ عَظِيمِ الْخَطَرِ؛ إِذِ الأَخْبَارُ فِي أَمْرِ الدِّينِ إِنَّمَا تَأْتِي بِتَحْلِيلٍ أَوْ تَحْرِيمٍ أَوْ أَمْرٍ

أَوْ نَهْيٍ أَوْ تَرْغِيبٍ أَوْ تَرْهِيبٍ، فَإِذَا كَانَ الرَّاوِي لَهَا لَيْسَ بِمَعْدِنٍ لِلصِّدْقِ وَالأَمَانَةِ، ثُمَّ أَقْدَمَ عَلَى الرِّوَايَةِ عَنْهُ مَنْ قَدْ عَرَفَهُ وَلَمْ يُبَيِّنْ مَا فِيهِ لِغَيْرِهِ مِمَّنْ جَهِلَ مَعْرِفَتَهُ؛ كَانَ آثِمًا بِفِعْلِهِ ذَلِكَ غَاشًّا لِعَوَامِّ الْمُسْلِمِينَ.

قال ابن أثير: وقد عاب بعض مَنْ لا يفهم على أهل الحديث الكلام في الرجال، لأنهم لم يقفوا على الغرض من ذلك، ولا أدركوا المقصد منه، وإنما حملَ أصحابَ الحديث على الكلام في الرجال وتعديل من عدّلوا وجرح من جرّحوا، الاحتياطُ في أمور الدين وحراسة ما دوّنوا، وتمييز مواقع الغلط والخطأ في هذا الأصل العظيم الذي هو السنة، والذي عليه مدار الإسلام وأساس الشريعة.

نشأة الكلام على الرواة:

البدايات لبيان أخطاء الرواة والوضع كانت في زمن الصحابة، ومن الأمثلة على ذلك:

أن ابن عباس كان لا يستمع إلى البشير العدوي احتياطاً خاصة بعد ظهور الفتنة، وذُكر ذلك سابقاً.

ذكرنا سابقا أيضاً تثبت أبي بكر وعمر في رواية السنة.

لهذا يذكر علماء الحديث الطبقة الأولى من علماء الجرح والتعديل والمذكيين للأخبار هم الصحابة، ومنهم: عمر – أبو بكر – علي – ابن عباس رضوان الله عليهم، فهؤلاء هم الطبقة الأولى من علماء الجرح والتعديل كما ذكرهم الحاكم وابن عدي وغيرهم.

ثم جاء بعدهم التابعين وعنوا بذلك، ومن أشهر التابعين الذين اعتنوا بذلك: الشعبي – ابن سيرين – سعيد بن جبير، وإن كان كلام هؤلاء بالنسبة لمن بعدهم قليل، حيث أن قلتهم في الرواية يرجع لسببين:

الأول: قلة الرواة الذين بينهم وبين الرسول ﷺ.

الثاني: قلة الكذب والوضع والخطأ، حيث أن الكذب كان نادراً، وإن وُجدَ خطأ فبُيّن وكُشف.

جاء القرن الثاني وظهر أئمة أصبحوا قادة لعلماء الجرح والتعديل، حيث أنه يُصدرُ عن قولهم ويُؤخذُ بآرائهم.

منهم: في المدينة الإمام مالك – شعبة بن الحجاج في بغداد ويعدُّ من أئمة المحدثين.

ثم عن هؤلاء الاثنين أخذ: يحي بن سعيد القطان – عبد الرحمن بن مهدي، وأصبحوا أئمة زمنهم.

ثم عن هؤلاء الاثنين أخذ: يحي ابن معين – الإمام أحمد – ابن المديني – زهير ابن حرب.

ثم عن هؤلاء الأربعة أخذ: طبقة تلاميذهم كالدارمي والبخاري ومسلم وطبقتهم.

ثم جاء طبقة بعدهم كابن حبان وابن عدي وغيرهم، وهكذا ما زال يتسلسل جيلاً عن جيل وطبقة عن طبقة علماء الجرح والتعديل.

كتب الجرح والتعديل:

ظهرت في نصف القرن الثاني (١٥٠هـ - ٢٠٠هـ)، ومن هذه الكتب: التاريخ الكبير للبخاري.

ثم ظهرت في تلاميذهم كتب فيه، منها: كتب الإمام أحمد –كتب ابن معين –كتاب لابن مبارك.

ثم انتشرت كتب الجرح والتعديل بذلك على اختلاف أصنافها وأنواعها.

كتب الاصطلاح:

ظهرت في نهاية القرن الثالث وبداية القرن الرابع، ووجدت كتب في هذا العلم لكنها لم تكن مستقلة بحالها، فقد تضمنت بعضا من علم مصطلح الحديث ضمن كتب مؤلفيها.

أول مصنف مستقل في هذا العلم هو كتاب المحدث الفاصل بين الراوي والواعي للإمام الرامهرمزي.

ثم جاء الخطيب وصنّف كتباً كثيرةً في الاصطلاح، وأيضاً صنّف الحافظ ابن عبد البر كذلك وغيرهم.

كتب المصطلح أصّلت بهذا الجهود وبوّبتها، فوجودها من جهود المحدثين في حماية السنة.

مراحل جمع السنة والجهد الذي قام به عمر بن عبد العزيز في ذلك

المرحلة الأولى – التقييد وجمع المجرد:

ذُكر سابقاً أن كثيراً من الصحابة والتابعين كانوا يكتبون السنة ويدونوها في الصحف، ولكن كتابتهم تلك كانت كتابات متفرقة ومتناثرة، وباجتهاد شخصي خاص ولم يجمع في ديوان شامل.

المرحلة الثانية – التدوين:

محاولة عمر بن الخطاب في تدوين السنة:

عن عروة بن الزبير– أن عمر بن الخطاب ﷺ أراد أن يكتب السنن فاستفتى أصحاب النبي ﷺفي ذلك، فأشاروا عليه بأن يكتبها، فطفق عمر يستخير الله فيها شهراً، ثم أصبح يوماً وقد عزم الله له فقال: إني كنت أريد أن أكتب السنن، وإني ذكرت قوماً كانوا قبلكم كتبوا كتباً فأكبوا عليها وتركوا كتاب الله، وإني والله لا أشوب كتاب الله بشيء أبداً.

يدل هذا الأثر على أن عمر كان يرى جواز جمع السنة، ورجوعه كان لخوفه من إقدامه على كتابة السنة فينكب المسلمون على دراسة غير القرآن ويهملوا كتاب الله.

محاولة عبد العزيز بن مروان في تدوين السنة:

والد عمر بن العزيز، حيث كان والياً على مصر وأرسل العلماء في طلب كتابة السنة، ولكن هذه المحاولة ما ذكر لنا على ما انتهت، فهل هي كُتِبتْ؟ أم لم تُكتبْ؟ فأمرها مجهول.

محاولة عمر بن عبد العزيز في تدوين السنة:

كان على رأس القرن الأول، وتعدُّ أول محاولة للتدوين حيث كُتبت في دفتر ونُسخ منها عدة نُسخ، ووزّع في البلدان والأقاليم، وقد حرص على جمع السُّنة بشكل شامل، وسَلَك في ذلك طريقين:

الأول: أنه كتب إلى أبي بكر بن حزم فقال له: انْظُرْ ما كان من حديثِ رسولِ اللَّهِ ﷺ فَاكْتُبْهُ، فَإِنِّي خِفْتُ دُرُوسَ الْعِلْمِ، وَذَهَابَ الْعُلَمَاءِ، وَلاَ تَقْبَلْ إِلاَّ حَدِيثَ النبي ﷺ ولتفشوا العلم، ولتجلسوا حتى يعلم من لا يعلم، فإن العلم لا يهلك حتى يكون سرّاً.

الثاني: أنه أمر ابنَ شهاب الزهريَّ بجمع السنة، حيث قال الزهري: (أَمَرَنَا عمرُ بنُ عبد العزيز بجمع السُّنن، فكتبناها دفتراً – دفتراً، فبعث إلى كلِّ أرضٍ له عليها سلطان دفتراً.

الأسباب التي حملت عمر بن عبد العزيز لجمع السنة ما يلي:

١. موت كثير من علماء الصحابة وكبار التابعين فخيف بموتهم ضياع السنة وذهابها.
٢. ضعف ملكةَ الحفظ مع انتشار الكتابة بين الناس واعتمادهم عليها.
٣. ظهور البدع والكذب في الأحاديث.

الفرق بين الكتابة والتدوين:

الكتابة: مُطلق خطِّ الشيء، دون مراعاةٍ لجَمْعِ الصُّحُف المكتوبة في إطارٍ يجمعها.

التَّدوين: فمرحلةٌ تاليةٌ للكتابة، ويكون بجمع الصُّحف المكتوبة في ديوان يحفظها.

إن هذا التدوين في زمن عمر عبد العزيز إنما كان التدوين الرسمي العام للسنة، أما تقييد السنة وكتابتها في الصحف والرقاع فقد مارسه الصحابة في عهد رسول الله ﷺ، ولم ينقطع بعد وفاته، بل بقي جنباً إلى جنب مع الحفظ حتى قيّض الله للحديث من يودعه في المدونات الكبرى.

المرحلة الثالثة – التصنيف:

سيأتي ذكره في المبحث التالي.

بدايات التصنيف وأنواع المصنفات الحديثية التي ظهرت

الفرق بين مرحلة التدوين ومرحلة التَّصنيف:

مرحلة التدوين: دُوِّن حديثُ النبي ﷺ فقط ولم يجد فيها الآثار، لذا جاء في الكتاب الذي كتبه الخليفة عمر بن عبد العزيز إلى أبي بكر بن حزم: (وَلاَ تَقْبَلْ إلاَّ حَدِيثَ النبيِّ ﷺ).

مرحلة التصنيف: فقد أخذت أشكالاً مختلفة، ومن ذلك ضَمُّ الموقوف (أضيف إلى الصحابي) والمقطوع (أضيف إلى التابعي) إلى جانب المرفوع (أضيف إلى النبي) من الحديث، فدوَّن الأئمة أقوال الصحابة والتابعين مع حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ كما جاء ذلك في (موطأ الإمام مالك)، وكانوا يؤلفون كل باب على حدة، ومنهم من ألَّف كلَّ الأبواب، ومنهم مَن اقتصر على أبواب الأحكام فقط.

نشط (تدوين الحديث) في منتصف القرن الثاني الهجري، واختلفوا في أول من صنّف؛ لكونه لا يمكن ضبط الأمر على العموم، واستقر الأمر على أنه ينسبُ بحسب البلد:

- في مكة: عبد الملك بن جريج – سفيان بن عيينة.
- في المدينة: الإمام مالك بن أنس – محمد بن إسحاق – ابن أبي ذئب.
- في البصرة: شعبة بن الحجاج – سعيد بن أبي عروبة – حماد بن سلمة.
- في الكوفة: سفيان سعيد الثوري – زائدة بن قدامة الثقفي.
- في اليمن: معمر بن راشد.
- في الشام: عبد الرحمن ابن عمرو الأوزاعي.
- في مصر: عبد الله بن لهيعة – ليث بن سعد.
- في خراسان ومرو: عبد الله بن المبارك.

أنواع التصنيف التي ظهرت خلال هذه الفترة (من القرن الثاني إلى القرن الثالث):

المصنفات:

تعريفه: هي الكتب المبوّبة التي تجمع الأحاديث المرفوعة مع كثير من الآثار الموقوفة والمقطوعة.

أشهر المؤلفات فيه:

- مصنف عبد الرزاق: (ت ٢١١هـ)، وكتابه مطبوع.
- مصنف ابن أبي شيبة: (ت ٢٣٥هـ)، وهذا الكتاب أكبر من سابقه، وهو مطبوع أيضاً.
- مصنف بقي بن مخلد القرطبي: وكتابه مفقود.

قال ابن حزم عن هذا الكتاب: "مصنف في فتاوى الصحابة والتابعين فمن دونهم، الذي أربى فيه علي مصنف أبي بكر بن أبي شيبة وعلى مصنف عبد الرزاق، ومصنف سعيد بن منصور".

- مصنف سعيد بن منصور (ت٢٢٧هـ): وقد طبع منه جزء فقط في خمس مجلدات.

وهذا المصنف يُعدُّ سنناً عند بعض أهل العلم لكثرة الأحاديث المرفوعة فيه، لكن ألحقت بالمصنفات باعتبار مضمونها.

الموطّآت:

تعريفه: هي كتب تجمع أحاديث مرفوعة مع الآثار الموقوفة والمقطوعة، وفيه من المراسيل والبلاغات والفتاوى.

سبب التسمية: لأنها توطِّئُ العلم وتُسهله.

أشهر المؤلفات فيه:

- موطأ محمد بن عبد الرحمن بن أبي ذئب (ت ١٥٨هـ).
- موطأ الإمام مالك: (ت ١٧٩هـ).

وهذا يُعدّ أشهر المصنفات الحديثية في القرن الثاني، وبعضهم يعدّه أول الكتب المصنفة في الصحيح؛ لكن اعترض على هذا بأنه حوى أحاديث وآثار.

وهذا كتابٌ جليل، واعتنت به الأمة بشرحه، وبالكلام على غريبه ومسانيده واختلافه.

ولقد صُنِّف قبله في الموطآت الكثير، ولما صنّفه الإمام مالك، قيل له: قد صُنف موطآت، فقال: ما كان لله فهو يبقي.

- موطأ عبد الله بن وهب المصري القرشي (ت ١٩٧هـ).

المسانيد:

تعريفه: هي الكتب التي جمعت الأحاديث بحسب مسانيد الصحابة، سواء كان ذكر الصحابة بحسب حروف المعجم، أو بحسب القبائل، أو بحسب الأفضلية والسابقة في الإسلام.

ميزته: هي تجعل أحاديث كل صحابي على حدة، غير أنها لا تعتني بالانتقاء بالجملة اللهم إلا مسند الإمام أحمد.

أشهر المؤلفات فيه:

- مسند الإمام أحمد: (ت ٢٤١هـ):

وتُعدُّ أشهر كتب المسانيد وأنقاها وأكبرها.

- مسند أبي داود سليمان بن داود الطيالسي (ت ٢٠٤هـ):

يعدُّ الطيالسي من طبقة شيوخ الإمام أحمد، وهذا المسند لم يصنفه الطيالسي، وإنما جمعه من أحاديثه أحد الخراسانيين عن تلميذ عن يونس بن حبيب عن الطيالسي، ولكن هذه الأحاديث تعدُّ من مرويات الطيالسي، فجُمعت له ولهذا أُشتُهر باسمه.

- مسند أبي بكر أحمد البزار: (ت ٢٩٢هـ):

مسند البزار مرتبة على المسانيد، لكن هو مظنة الغرائب، وهي طرق التي انفرد بها أصحابها عن بعض الأئمة.

الجوامع:

تعريفه: هي الكتب التي تجمع الأحاديث في أبواب الدين جميعاً، كالأحكام والآداب والتفسير والطب والرؤى وغيرها.

أمثلة على كتب الجوامع:

- جامع الصحيح للبخاري.
- جامع الصحيح لمسلم.
- جامع الترمذي المعروف بسنن الترمذي.

السنن:

تعريفه: هي الكتب التي جمعت أحاديث الأحكام المرفوعة، واقتصرت عليها غالباً.

أشهر المؤلفات فيه:

- سنن ابن ماجه.
- سنن أبي داود.
- سنن النسائي.

الصحاح:

تعريفه: هي الكتب التي اقتصرت على ما صحَّ من حديث رسول الله ﷺ.

أشهر المؤلفات فيه:

- صحيح البخاري
- صحيح مسلم
- صحيح ابن خزيمة
- صحيح ابن حبان.

المبحث الرابع: السنة بعد القرن الثالث إلى زماننا الحاضر

التغيرات التي طرأت على تحمل الأحاديث وروايته

شهدت السنة النبوية بعد انقضاء القرن الثالث الهجري تحولات كبرى، من أبرزها: انقراض عهد الرواة الذين كانوا يحفظون من الأحاديث ما لا يوجد مكتوباً إلا في صدورهم.

فمع نهاية القرن الثالث انتهى عصر الجمع والكتابة، واكتمل تدوين السنّة، ولم يبق من الروايات الشفهية المعتمدة على الذاكرة شيء يُذكر.

وممن أشار إلى انقضاء عصر الرواية، الإمام أبو بكر البيهقي: الأحاديث التي صَحَّت، أو وقفت بين الصحة والسقم، قد دوِّنت وكُتِبت في الجوامع التي جمعها أئمةُ الحديث، ولا يجوز أن يذهب شيء منها على جميعهم، وإن جاز أن يذهب على بعضهم؛ لضمان صاحب الشريعة حفظَها، فمن جاء اليوم بحديث لا يوجد عند جميعهم، لم يُقبَل منه.

علماء الحديث بعد القرن الثالث قد خففوا من الشروط في الرواة من عدالة وضبط صدر؛ لأن باب الرواية قد انتهى.

وأما الراوية بالإسناد فبقيت من أجل المحافظة على خصيصة الإسناد

التعريف بأنواع التصنيف في السنة وعلومها مما استجدت بعد القرن الثالث:

الأول – كتب المستخرجات:

تعريفه:

هي الكتب التي يأتي فيها المصنف إلى كتاب من السنة فيخرج أحاديثه بأسانيد لنفسه من غير طريق صاحب الكتاب، فيجتمع معه في شيخه أو فيمن فوقه، مع رعاية ترتيبه ومتونه وطرق أسانيده.

العالِم الذي يقوم بالاستخراج يسمى (مستخرِجا)، والكتاب المؤلف يسمّى (مُستخرَجا).

فوائد كتب المستخرجات:

١. علو الإسناد.
٢. كثرة طرق الحديث ليرجح بها عند التعارض.

٣. بيان سماع المدلس.

٤. تعيين المبهم من رجال الإسناد وتقييد المهمل.

أشهر كتب المستخرجات:

- مستخرج الحافظ أبي بكر الإسماعيلي على صحيح البخاري.
- المسند المستخرج على مسلم، للحافظ أبي نعيم الأصبهاني.
- المستخرج على المستدرك، لزين الدين بن الحسن العراقي.
- المسند الصحيح المخرج على صحيح مسلم، لابن إسحاق الإسفراييني.

الثاني – كتب المعاجم:

تعريفه:

هي التي تُخرج الأحاديث مرتبة إما على أسماء الصحابة أو على أسماء الشيوخ.

أشهر كتب المعاجم:

- المعاجم الثلاثة، الكبير والأوسط والصغير، لمؤلفها أبي القاسم الطبراني.

المعجم الكبير: مرتب على مسانيد الصحابة، ومرتب على حروف المعجم.

المعجم الأوسط: مرتب على أسماء شيوخ الطبراني، وهم نحو ألفي شيخ.

المعجم الصغير: مرتب على أسماء شيوخه، لكنه اقتصر فيه عن كل شيخ على حديث واحد.

- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، لأبي بكر الهيثمي.

جمع فيه زوائد معاجم الطبراني الثلاثة بالإضافة إلى زوائد مسند أحمد والبزار وأبي يعلى.

منهجه: حذف الأسانيد ورتبه على الأبواب وذكر درجة الحديث من حيث الصحة والضعف.

الفرق بين المعاجم والمسانيد:

الفرق الجوهري:

المسانيد قصدها جمع الأحاديث وذكر الصحابة جاء معه.

معاجم الصحابة قصدها ذكر أسماء الصحابة والترجمة لهم والمرويات جاءت تبعاً.

الفرق من ناحية محتواه:

المسانيد يتضمن المرفوع فقط.

معاجم الصحابة يأتي فيها الموقوف والمقطوع.

الثالث – المستدرك:

تعريفه:

هي الكتب التي قصد مصنفوها إخراج ما يُستدرك به على الصحيحين أو أحدهما، وقد يزيدون عليه تبعاً مما لا يكون مستدركا ولا على شرطه.

أشهر كتب المستدرك:

- مستدرك الحاكم: المستدرك على الصحيحين لأبي الحاكم النيسابوري.
- مستدرك أبي ذر الهروي.
- المختارة: للضياء المقدسي، وتعدُّ أحد أنواع المستدرك وأحسنها.

الرابع – الأطراف:

تعريفه:

هي الكتب التي يقتصر فيها صاحبها على ذكر طرف الحديث الدال على بقيته مع الجمع لأسانيده، إما على سبيل الاستيعاب أو على جهة التقييد بكتب لمصنف معين أو مجموعة مصنفات.

أشهر كتب الأطراف:

- تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف: للحافظ أبي الحجاج المزي.
- جمع فيه أطراف الكتب الستة: الصحيحين والسنن الأربعة.
- إتحافُ المهَرة بفوائد الكثرة بأطراف العشرة: للحافظ ابن حجر العسقلاني.

الخامس – الفوائد:

تعريفه:

هي الكتب التي تجمع غرائب الروايات وعوالي الشيوخ.

أهميته:

أن الأحاديث والآثار التي فيها لا يُوجدُ في غيره.

أن فيها طرق ليست في غيرها، ففيها تكثير لطرق الحديث.

أن فيها فوائد تفصيلية من غرائب الإسناد أو تصريح بالسماع لا توجد في كتب الحديث المشهورة.

أقسامها:

قسَّم بعض المعاصرين كتب الفوائد بحسب صفتها إلى ما يأتي:

١-كتب فوائد عامة

من الأمثلة عليه: فوائد تمام – فوائد الغيلانيات.

٢-كتب فوائد تقتصر على شيخ معين.

من الأمثلة عليه: فوائد لأبي سعد محمد بن عبد الرحمن جمعها البيهقي.

٣-كتب فوائد تقتصر على بلد معين

من الأمثلة عليه: فوائد البصريين لأبي زرعة – فوائد العراقيين لأبي سعيد النقاش.

٤-كتب فوائد لها شرط معين غير ما سبق؛ إما شيوخ ثقات أو تشترط الصحة أو تشترط العلو.

من الأمثلة عليه: المهراوانيات للهمذاني – المزكيات للدارقطني.

السادس-الآمالي:

تعريفه:

هي الكتب التي يُجمع فيها الأحاديث المسموعة من إملاء إمام من أئمة الحديث من حفظه أو كتابه سواءً في مجلس واحد أو عدة مجالس.

نشأته:

بدأت في القرن الثالث وما كثُرت إلا بعد القرن الرابع، وليس لها موضوع معين، فأحياناً يكون مرتبةً على الأبواب، وأحياناً مرتبة على المسانيد، وأحياناً على حسب المجلس، وأحيانا على حسب موضوع المجلس.

أهم المؤلفات فيه:

- آمالي عبد الرزاق الصنعاني
- آمالي الإمام النسائي
- أمالي المحاملي للحسين بن إسماعيل
- آمالي ابن بشران
- آمالي الحافظ العراقي.

الفرق بين الفوائد والآمالي:

الآمالي نوع من الكتب مبني على طريقة تدريس الشيخ، وأما الفوائد فنوع من الكتب مبني على ما يُنتخب من كتب الشيخ.

الآمالي طريقة تدريس الشيخ الإملاء، أما الفوائد تُجمع من كُتب الشيخ وأصول الشيخ وغالباً تُنتخب من كبار تلامذة الشيخ أو هو أو أقرانه.

السابع – الأجزاء الحديثية:

تعريفه:

كتاب صغير يجمع فيه المؤلف طرق حديث بعينه أو عدة أحاديث، بحيث تشترك هذه الأحاديث في موضوع إسناديٍّ أو متن أو مرويات راوي بعينه.

أهميته:

أنها مصدر من مصادر السنة، ومن حيث المعنى اللغوي الأجزاء الحديثية قديمة كصحيفة تمام، حيث أنها تعدّ جزءا حديثيا؛ لأنه جُمع فيها عن أبي هريرة ﷺ فقط، فمن حيث المعنى هي داخلة فيها.

وهي اشتهرت وانتشرت من القرن الثالث إلى الخامس.

أنواعه والمؤلفات في كل نوع:

الأجزاء الحديثية الموضوع بعينه في المتن: مثل: جزء أحكام الضيف لأبي إسحاق الحربي – جزء الدعاء للمحاملي – جزء حديث العيدين للفريابي.

الأجزاء الحديثية الموضوع بعينه في الإسناد: كالفوائد إذا كانت صغيرة، أو تكون أربعينيات، أو العوالي التي تتعلق بالإسناد.

ما يجمع أحاديث راو بعينه سواءً صحابي أو من دونه: مثل: جزء في مسند الحِبِّ ابن الحِبِّ لأسامة بن زيد البغوي – جزء في مسند عبد الله بن عمر للطرسوسي.

أجزاء يتعلق بعدد الرواة في الإسناد: رباعيات للطبراني – عشاريات للعراقي.

أجزاء حديثية ما لها صفة مشتركة: مثل: جزء الحسن بن عرفة – جزء بيبي بنت عبد الصمد.

الثامن – الزوائد الحديثية:

تعريفه:

هي الكتب التي أفردت الأحاديث الزائدة في كتاب من كتب السنة على الأمهات الحديثية.

مثال ذلك: جمع زوائد مسند الإمام أحمد على الكتب الستة – جمع زوائد ابن حبان على الصحيحين.

منهجه:

الاعتناء بالصحابي نفسه، أما ألفاظ الحديث وإن كان ينبني عليها حكم أحياناً يذكرونه وأحياناً لا يذكرونه، فليس هناك ضابط معين لها.

نشأته:

نشأت في القرن الثامن، وأول من كتب فيها العلامة مغلطاي وتلاميذ العراقي.

أهميته:

إن هذه الكتب تكِّون موسوعة حديثية إذا ضم بعضها إلى بعض.

أنها تفيد في معرفة ما فُقد من زوائد كتب السنة.

أشهر كتب الزوائد:

- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للحافظ نور الدين الهيثمي.
- زوائد ابن حبان على الصحيحين لمؤلفه مغلطاي.
- التوضيح شرح الجامع الصحيح لابن الملقن.
- إتحاف السادة المهرة بزوائد المسانيد العشرة لمؤلفه البوصيري.
- مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه لمؤلفه البوصيري.
- المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية لمؤلفه ابن حجر العسقلاني.

التاسع – كتب الأبواب الخاصة:

تعريفه:

ما صُنِّف في نوع خاص في أفراد، مما هو موجود في كتب الأمهات.

أنواعه:

إما إضافة أو خدمة، فالإضافة هي الكتب المسندة منها، أما الخدمة فهي الكتب الغير المسندة.

أمثلة الكتب الحديثية الخاصة:

١ – الترغيب والترهيب: هي الكتب التي صُنّفت في جمع الأحاديث التي فيها ترغيب الأعمال الصالحة والتي فيها ترهيب عن الأعمال السيئة، وثواب ذلك وعقابه، وتكون مسندة أو غير مسندة.

الكتب المسندة في الترغيب والترهيب:

- ثواب الأعمال لأبي الشيخ الأصبهاني.
- الترغيب في فضائل الأعمال لأبي حفص بن شاهين.
- الترغيب والترهيب لقوام السنّة لأبي إسماعيل الأصبهاني.
- الكتب الغير المسندة في الترغيب والترهيب:
- الترغيب والترهيب للمنذري.
- رياض الصالحين للنووي.

٢ – الفتن: وهي كتب مسندة غالباً، ومن الأمثلة عليه:

- كتاب الفتن لنعيم بن حماد المروزي.
- كتاب الفتن للآجري.
- السنن الواردة في الفتن لأبي عمرو الداني.

٣-الطب النبوي: وتكون مسندة أو غير مسندة.

الكتب المسندة في الطب النبوي:

- الطب النبوي لأبي بكر السنّي.
- الطب النبوي لأبي نعيم الأصبهاني.
- الطب النبوي لأبي العباس المستغفري.

الكتب الغير المسندة في الطب النبوي:

- الطب النبوي لابن القيم.
- الطب النبوي للسيوطي.
- الطب النبوي للذهبي.

٤-دلائل النبوة: هي الكتب التي تجمع الأحاديث التي فيها أدلة نبوته ﷺ، وتكون مسندة غالباً، مثل:

- كتاب دلائل النبوة لأبي بكر الفريابي.
- كتب دلائل النبوة لأبي نعيم الأصبهاني.
- كتاب دلائل النبوة للبيهقي، وتعدُّ أشهرها.

٥-الزهد: ظهرت في القرن الثاني، كزهد ابن مبارك، وزهد وكيع، ثم استمرت إلى أن بلغ عدد الكتب المصنفة فيها أكثر من سبعين كتاب، وتكون كتب الزهد مسندة غالباً.

٦-الأحكام: وهي كتب غير مسندة غالباً؛ لأنها منتقاة من الأمهات كأبي داود وغيره، مثال ذلك:

- كتب الأحكام لعبد الحق الإشبيلي، وله أكثر من كتاب في الأحكام، وهي: (الأحكام الكبرى – الأحكام الصغرى – الأحكام الوسطى).
- المنتقى في الأحكام الشرعية من كلام خير البرية لأبي البركات ابن تيمية (الجد).

- كتب الأحكام لابن دقيق العيد، له عناية خاصة بكتب الأحكام، فله فيها: الإلمام بأحاديث الأحكام -الإمام في معرفة أحاديث الأحكام – شرح إلمام بأحاديث الأحكام.
- المحرر لابن عبد الهادي.
- تقريب الأسانيد وترتيب المسانيد للعراقي.
- بلوغ المرام للحافظ ابن حجر.

ملاحظة: كتب الأحكام لا تقتصر على هذه الأنواع فقط، وإنما هي كثيرة ومتعدّدة كالأخلاق والفضائل.

العاشر – كتب الشروح الحديثية:

هذا الكتب قد ظهرت في القرن الرابع تقريباً، ويعدُّ هذا النوع من نوع الخدمة.

ومن أوائل شروح الحديث: شرح الخطابي لسنن أبي داود وصحيح البخاري.

العلاقة بين كتابي: معالم السنن وأعلام الحديث، للخطابي:

١- أن "معالم السنن" هو الأصل، الذي بدأ به الخطابي شرح "سنن أبي داود".
٢- أن "أعلام الحديث" شرح "البخاري" بناه الخطابي على "معالم السنن"، فإذا مرَّ عليه حديث في "البخاري" شرحه في "معالم السنن" لا يعيده.

ثم دونت الشروح بعد القرن الرابع كذلك، وما من كتاب من كتب الأمهات إلا وعليه شروح متعددة.

بعض الشروح في كتب الأمهات:

❖ **الجامع الصحيح للإمام البخاري:**

- أعلام الحديث في شرح صحيح البخاري للخطابي.
- شرح صحيح البخاري لابن بطال.
- فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن رجب الحنبلي.
- فتح الباري شرخ صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني.
- عمدة القاري شرح صحيح البخاري لأبي محمد العيني.

- إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري للقسطلاني.

❖ **الجامع الصحيح للإمام مسلم:**

- المعلم بفوائد مسلم للمازري.
- إكمال العلم بفوائد مسلم للقاضي عياض.
- المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج للنووي.

❖ **السنن لأبي داود:**

- معالم السنن للخطابي.
- شرح سنن أبي دواد لابن رسلان.
- عون المعبود على شرح سنن أبي دواد للعظيم آبادي.

❖ **الجامع الكبير للترمذي:**

- عارضة الأحوذي لابن العربي.

❖ **المجتبى للنسائي:**

- ذخيرة العقبى لمحمد آدم الأثيوبي، وتُعدُّ من الشروح المتأخرة المشهورة.

❖ **الموطأ للإمام مالك:**

- التمهيد والاستذكار لابن عبد البر القرطبي.

تنبيهات ينبغي لطالب الحديث أن يحذر منها عند الرجوع للشروح:

١- أن الشروح هذه على أنواع: منها ما يعتني باللغة، ومنها ما يعتني بتخريج الحديث، ومنها ما يعتني بالفقه، فلا بدّ لطالب العلم أن يعرف منهج العالم في شرحه.

٢- أن كثيراً من الشروح تتأثر بالمذهب الفقهي الذي يتبعه صاحب الكتاب.

٣- أن كثيراً من الشروح لا تخلو من الأخطاء العقدية.

الحادي عشر – كتب الجمع بين الكتب:

تعريفه:

كتب تجمع الأحاديث من مصادر حديثية معينة، وقد تكون بين كتابين أو كتب ستة أو أكثر أو كتب عامة.

أشهر المصنفات في كل نوع:

❖ **الجمع بين كتابين:**

منها: الجمع بين الصحيحين، وتعدُّ من أشهر هذا النوع، ومن هذه الكتب:

- الجمع بين الصحيحين لأبي عبد الله الحميدي.
- الجمع بين الصحيحين لعبد الحق الإشبيلي.

❖ **الجمع بين الكتب الستة أو الخمسة:**

ومن أشهر هذه الكتب:

- الجمع بين الكتب الستة لرزين بن معاوية (الكتب الستة = الصحيحين + السنن الأربعة).
- جامع الأصول في أحاديث الرسول لمجد الدين ابن أثير. جمع فيه الكتب الستة لكن السادس منها ليس السنن لابن ماجه وإنما ذلك الموطأ.

❖ **الجمع بين كتب أكثر من الستة:**

- جامع المسانيد والسنن لابن كثير، جمع فيه عشرة كتب، وهي: الكتب الستة ومسند أحمد ومسند البزار ومسند أبي يعلى والمعجم الكبير للطبراني.

❖ **الجمع بين كتب عامة:**

- جمع الجوامع المعروف بالجامع الكبير للسيوطي.

الثاني عشر – كتب الانتقاء:

تعريفه:

كتب حديثية يبنى محتواها على الانتقاء من مصادر السنة المسندة.

أشهر المصنفات فيه:

- مصابيح السنة لمحي السنة البغوي.
- مشكاة المصابيح لخطيب التبريزي. ومن أشهر شروحه: الكاشف عن حقائق السنن للطيبي.

فائدة: هذان الكتابان لهما صفة خاصة، ولهذا أهل العلم اعتنوا بهما وكثرت شروحهم عليهما.

الثالث عشر – كتب الاختصار:

تعريفه: أن يأخذ كتاباً من كتب السنة ويحذف مكرراته ويحذف أسانيده وينتقي منه.

الفرق بين الانتقاء والاختصار:

الأصل في الاختصار أنه يحذف المكرر، أما الانتقاء فيأخذ البعض ويترك البعض.

مثال ذلك في الاختصار: أن عدد الأحاديث الغير المكررة في البخاري فوق الأربعة آلاف، فيُختصر مثلا في ألفين حديث وتُحذف أسانيده، أما ما تبقى من الألفين فتُحذف لكونها مكررة.

مثال ذلك في الانتقاء: أن يأتي عالم وينتقي مئة حديث من البخاري.

أشهر المصنفات فيه: وتعدُّ هذه الكتب من أشهر مختصرات البخاري ومسلم، وهي كما يلي:

- مختصر البخاري للزبيدي.
- مختصر البخاري للألباني، وتعدُّ من أحسن وأجمل المختصرات، وهي في ثلاث مجلدات.
- مختصر المسلم للمنذري.
- مختصر مسلم للقرطبي، تعدُّ شروحه من أشهر الشروح على الصحيحين.

سبب كثرة اختصار صحيح مسلم: أن أحاديثه في مكان واحد فيسهل اختصاره، أما البخاري فليس كذلك.

الرابع عشر – كتب إعادة الترتيب:

ماهية كتب إعادة الترتيب:

يكون إعادة الترتيب لبعض الكتب حيث يصعب الوصول لما فيه من أحاديث أو يحتاج إلى إعادة ترتيبه، فيأتي المحدث أو العالم فينظر فيه فيعيد ترتيبه.

ما هي الكتب التي تحتاج إلى إعادة ترتيب؟

أولاً: كتب غير مرتبة على أبواب كمسند الإمام أحمد، ومن رتبوه بيانهم كالتالي:

- رتّبه ابن عروة الحنبلي على أبواب البخاري تحت مسمى "كنز الحنابلة".
- فتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني لأحمد البنا الساعاتي.

ثانياً: كتب مرتبة لكن يصعب الوصول إليه كصحيح ابن حبّان، وقد رتبه ابن بلبان تحت مسمى "الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان".

الخامس عشر – كتب علوم الحديث:

حده:

اعتنت بأصول الرواية وقواعدها وتمييز الصحيح من غيره.

نشأته:

ظهرت في القرن الرابع استقلاليّاً، ولكن قبل ذلك وجد ضمنيّاً، ومن الأمثلة على الكتب الضمنية: كتب الشافعي (الرسالة) –مقدمة مسلم لصحيحه – رسالة أبي داود إلى أهل مكة.

واضعه:

أول من ألف في هذ العلم خاصةً هو الإمام الرَّامَهُرمُزِي.

أشهر المؤلفات فيه:

- المحدث الفاصل بين الراوي والواعي للإمام الرَّامَهُرمُزِي (ت ٣٦٠هـ).
- معرفة علوم الحديث لأبي عبد الله الحاكم (ت ٤٠٥هـ).

نبذة عن الكتاب: عدَّد أنواعاً كثيرة في علم مصطلح الحديث لكنه لم يهذب ولم يرتب.

- الكفاية في علم الرواية للخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ).
- الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع للقاضي عياض (ت ٥٤٤هـ).

نبذة عن الكتاب: تكلم في أول الكتاب عن فضائل أهل الحديث وعلمه، ثم توسّع في طرق التحمل وأدواته وألفاظها، ثم ختم بباب جامع في الآداب الحميدة.

- معرفة أنواع علوم الحديث لابن الصلاح (ت ٦٤٣هـ)، واشتهر بـ "مقدمة ابن الصلاح".

نبذة عن الكتاب: هذب فيه مؤلفه فنون هذا العلم، فجمع شتات مقاصده وضم إليه من غيره نخب فوائده فاجتمع في كتابه ما تفرق في غيره، وبلغ عدد الأنواع خمسا وستين نوعاً، لكن لم يكن ترتيبه على الوضع المتناسب؛ لأنه أملاه شيئاً بعد شيء.

- التقريب والتيسير لمؤلفه النووي (ت ٦٧٦هـ).

نبذة عن الكتاب: اختصر فيه كتاب: علوم الحديث لابن صلاح.

- نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر لابن حجر (ت ٨٥٢هـ).

نبذة عن الكتب: متن مختصر وترتيب مبتكر.

- فتح المغيث في شرح ألفية الحديث للعراقي لمؤلفه: السخاوي (ت ٩٠٢هـ).
- تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي لمؤلفه: السيوطي (ت ٩١١هـ).

نبذة عن الكتاب: شرح فيه كتاب: التقريب والتيسير للإمام النووي.

السادس عشر – كتب الرجال وأحوالهم:

نشـــأته:

ظهرت في القرن الثاني كتب كانت تسمى "التاريخ" فألف فيه:

- كتاب التاريخ للحافظ الليث بن سعد.
- كتاب التاريخ لابن المبارك.
- كتاب التاريخ الكبير للبخاري.

وظهرت في القرن الثاني والثالث أصول كتب الرجال حقيقةً.

ثم استمرت في القرن الرابع، وظهرت "أصول كتب الرجال" وكأنه استكمال لما سبق.

ثم في القرن الخامس كذلك ظهرت "أصول كتب الرجال".

ثم بعد القرن الخامس ظهرت كتب تخدم ما سبق، مثل: تهذيب الكمال في أسماء الرجال للمزي، وتعدُّ من أشهر كتب الرجال المتأخرة، حيث اعتمد على الكتب المتقدمة وترجمة لأصحاب الكتب الستة.

أشهر المؤلفات فيه:

- كتاب التاريخ الكبير للبخاري.

نبذة عن الكتاب: يعدُّ أول من صنّف فيه، وهي من أشهر كتب الرجال، رتبه على حروف المعجم إلا أنه قدَّم المحمدين، تشرُّفاً باسم النبي ﷺ.

- كتاب الجرح والتعديل لابن أبي حاتم.

نبذة عن الكتاب: وهو على ترتيب البخاري إلا أنه أضاف إليه أقوال الجرح والتعديل.

- كتاب الثقات لابن حبان.

نبذة عن الكتاب: جمع فيه الرواة التي يرى أنهم ثقات، ويذكر بعض مروياتهم بإسناده، ويُنتقد ابن حبان في تساهله في توثيق المجاهيل، وتشدده في توثيق المجروحين أحياناً.

- كتاب الكامل في ضعفاء الرجال لابن عدي.

نبذة عن الكتاب: عبارة عن سبع مجلدات، ويختص بالرواة الضعفاء، ويورد في كل راو بعض ما االستُنكِر على هذا الراوي من رواياته.

- كتاب الطبقات لابن سعد.

نبذة عن الكتاب: تعدُّ من الكتب التي لا يستغنى عنها، وميزته الترتيب على الطبقات، كما أنه يروي الأقوال بأسانيد.

المدارس الحديثية وأشهر أعلامها :

المدارس الحديثية لها معنيين :

أولاً: جماعة من الرواة والمحدثين مشتركة، تتعلق بوسائل تبليغ الحديث وصيانته رواية ودراية.

ثانياً: يطلق على دراسة فترة معينة من الزمن في بلد معين، توافر فيه العلماء ودرس عليهم جمع من التلاميذ، تأثروا بهم، ونشروا آراءهم ومناهجهم.

فوائد معرفة المدارس الحديثية :

- معرفة الحركة العلمية الحديثية في كل مصر من الأمصار الإسلامية القديمة.
- معرفة خصائص كل مدرسة وآثارها العلمية.
- بيان مدى انتشار علوم الحديث رواية ودراية في الأقطار الإسلامية.
- معرفة جهود العلماء في كل بلد من بلاد المسلمين وحمايتهم وصيانتهم للسنة.

هل وُجِدت معنى "المدارس الحديثية" في السابق؟

من حيث اللفظ لم تستخدم بهذا المعنى، لكن من حيث المعنى فقد وُجدَت.

يقول ابن علي المديني: "إنه لم يكن من صَحِب النبي ممن هو على طريقته، من كان له تلاميذ يعنون بعلمه، وينقلون ما رواه إلى غيرهم، وهم ثلاثة: ابن عباس وابن مسعود وزيد بن ثابت.

والإمام الذهبي قد أرّخ المدارس الحديثية في كل بلد في كتابه "الأمصار ذوات الآثار".

من أشهر أعلام المدارس الحديثية:

١ –مدرسة الحديث بالمدينة المنورة:

هذه هي أول مدارس الحديث النبوي، حيث كان صحابة رسول الله ﷺ يتلقون الحديث ويستمعون إليه من فم صاحبه صلوات الله وسلامه عليه أيام حياته، وبعد وفاته آثر الكثير منهم البقاء في المدينة وعدم الخروج منها محبة في سكنى المدينة ورغبة في الموت فيها.

تمتاز هذه المدرسة: بأنها دار هجرة النبي ﷺ التي عاش فيها إلى أن لقي ربه، وآثر أكثر الصحابة البقاء فيها بعد وفاته لا سيما الكبار منهم، كأبي بكر وعمر وعثمان وأبي هريرة وعائشة وزيد بن ثابت وجابر بن عبد الله وغيرهم، ومنها انتشر الحديث النبوي.

وقد تخرج في مدرسة المدينة كبار التابعين، كسعيد بن المسيب وعروة بن الزبير وابن شهاب الزهري وسالم بن عبد الله بن عمر وغيرهم من أئمة الهدى وأعلام الأمة في الحديث والفتوى.

❖ **تمتاز المدينة المنورة إلى جانب مكة المكرمة بأن روايات أهلها من أصح الروايات.**

قال الإمام الشافعي: "إذا جاوز الحديث الحرمين فقد ضعف نخاعه".

ويقول الإمام ابن تيمية: "وأهل المدينة أصحّ أهل المدن رواية ورأياً، وأما حديثهم فأصح الأحاديث، وقد اتفق أهل العلم بالحديث على أن أصحّ الأحاديث أحاديث أهل المدينة".

من المصنفين من أهل المدينة:

- أبو بكر محمد بن شهاب الزهري ولم يصنف لكنه دوّن الحديث.
- الإمام مالك بن أنس الأصبحي صاحب كتاب الموطأ.
- محمد بن إسحاق وصنَّف في السيرة.

٢-مدرسة الحديث بالمكة المكرمة:

تمتاز هذه المدرسة بصحّة مروياتها غالبا، كما تقدّم بيانه.

من مشاهير الصحابة في المدرسة الحديثية المكية: عبد الله بن عباس، وقد سكن آخر حياته بالطائف وتوفي بها، رضي الله عنهم جمعياً.

من مشاهير علماء التابعين وأتباعهم في مدرسة الحديث بمكة المكرمة: عطاء ابن أبي رباح المكي، ومجاهد بن جبر المكي، وسعيد بن جبير.

من جملة المصنفين في المدرسة الحديثية المكية:

- عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج، وهو أول من صنف التصانيف في العلم بمكة.
- سفيان بن عيينة، له كتاب الجامع في السنن والآثار.

٣-مدرسة الحديث ببلاد الشام:

تعدّ بلاد الشام واحدة من تلك البلاد التي سعدت بقدوم عدد غفير من الصحابة انتقلوا إليها بعد الفتوح الإسلامية.

من أهم سماته: كثرة المراسيل والمقاطيع وقلّة عنايتهم بذكر الأسانيد في مروياتهم.

والسبب في ذلك: يعود إلى الثقة المتبادلة التي كانت موجودة بين علماء التابعين هناك، لكنّهم تنبّهوا بعد ذلك إلى ضرورة الإسناد حين ظهر الوضع في الحديث.

ومن أوائل من نبّه أهل الشام إلى ضرورة الإسناد: الإمام محمد ابن شهاب الزهري رحمه الله.

فقد روى ابن عساكر في تاريخه عن عتبة بن أبي حكيم قال: "جلس إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة بالمدينة في مجلس الزهري، فجعل يقول قال رسول الله -ﷺ-، فقال ما لك: قاتلك الله، ما أجرأك على الله يا ابن أبي فروة، ألا تسند أحاديثك؟!، تحدثّونا بأحاديث يعني ليس لها طمّ ولا أزمة".

مما امتاز به أهل الشام أيضاً: قلّة من عرف منهم بالكذب أو الوضع في القرون الثلاثة الأولى.

قال الإمام ابن تيمية: "وقد اتفق أهل العلم بالحديث على أنّ أصحّ الأحاديث أحاديث أهل المدينة، ثم أحاديث أهل البصرة، وأما أحاديث أهل الشام فهي دون ذلك؛ فإنّه لم يكن لهم من

الإسناد المتصل وضبط الألفاظ ما لهؤلاء، ولم يكن فيهم -يعني أهل المدينة، ومكة، والبصرة، والشام- من يُعرف بالكذب، لكن منهم من يضبط ومنهم من لا يضبط".

من أشهر علماء الصحابة الذين استوطنوا بلاد الشام: أبو الدرداء عويمر بن مالك الخزرجي، وعبادة بن الصامت، ومعاوية بن أبي سفيان، ﷺ.

من مشاهير علماء التابعين وأتباعهم من أهل الشام: أبو عبد الله الخولاني، ومكحول بن أبي مسلم الشامي، وأبو عمرو عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي.

٤-مدرسة الحديث في مصر:

كانت مصر من البلاد التي احتضنت الإسلام وسعدت بنزول غير واحد من صحابة رسول الله بها.

من أبرز سمات المدرسة المصرية: قلّة مروياتهم الحديثية.

قد قال الخطيب البغدادي: وللمصريين روايات مستقيمة إلا أنها ليست بالكثيرة.

من أشهر من عرف من علماء الصحابة بمصر: عقبة بن عامر الجهني، وعبدالله بن عمرو بن العاص، وعبدالله بن الحارث المذحجي، ﷺ.

من علماء التابعين وأتباعهم: أبو الخير مرثد بن عبدالله اليزني، تفقّه على غير واحد من الصحابة، وكان لا يفارق عقبة بن عامر ﷺ، وكذلك الليث بن سعد بن عبد الرحمن الفهمي محدث الديار المصرية.

من جملة المصنفين في المدرسة المصرية:

- عبد الله بن وهب المصري له الجامع في الحديث.
- الإمام محمد بن إدريس الشافعي صاحب كتاب الأم وكتاب الرسالة واختلاف الحديث.

٥-مدرسة الحديث بالكوفة:

كانت مدينة الكوفة عاصمة الخلافة إبّان خلافة أمير المؤمنين على بن أبي طالب ﷺ، حيث اتخذها مقراً للخلافة ولأصحابه.

تمتاز مدينة الكوفة: بكثرة من وفد إليها وأقام بها من أصحاب النبي بعد فتحها، حتى قال إبراهيم النخعي: "هبط الكوفة ثلاثمائة من أصحاب الشجرة، وسبعون من أهل بدر".

وقد كان لعبد الله بن مسعود ﷺ أثر كبير في رفع اسم الكوفة، لما بذله في سبيل تعليم أبنائها، وقد تخرّج على يديه نحو ستين شيخاً من تلامذته ممن حافظوا على الشريعة ونشروا السنة.

وقد اشتهرت الكوفة: بكثرة تدليس الرواة.

وفي ذلك يقول الإمام الحاكم النيسابوري: "أكثر المحدثين تدليساً أهل الكوفة".

كما أُخذ على أهل الكوفة: قلّة تمحيصهم للمرويّات، وقلّة تدقيقهم في الشيوخ، وروايتهم عن كل أحد دون تمييز بين الصادق والكاذب.

ولأجل ذلك كثرت الأحاديث الضعيفة والمنكرة في مرويّاتهم، وفي ذلك يقول الإمام عبدالرحمن بن مهدي: "حديث أهل الكوفة مدخول".

من مشاهير الصحابة الذين استوطنوا الكوفة: علي بن أبي طالب، وأبو موسى الأشعري، والمغيرة بن شعبة، وغيرهم، رضي الله عنهم وأرضاهم.

من مشاهير علماء التابعين وأتباعهم من اهل الكوفة: علقمة بن قيس النخعي، ومسروق بن الأجدع، وعامر بن شراحيل الشعبي.

من جملة المصنفين في مدرسة الكوفة:

- عبيد الله بن موسى العبسي الكوفي، له كتاب المسند.
- وكيع بن الجراح، له مصنّف في الحديث.
- سفيان بن سعيد الثوري، له كتاب الجامع الكبير، والجامع الصغير، وكلاهما في الحديث.

الجهود المعاصرة في خدمة السنة:

بعد القرن التاسع تقريباً إلى منتصف القرن الثالث عشر حصلت حالة ركود علمية عامة، ومنها الركود في علم الحديث، ولم تنقطع خدمة السنة مطلقاً، فوُجدت مصنّفات لكن ليست كسابقها من تجديد وتوسّع في هذا المجال.

الجهود المعاصرة: المقصود به من القرن الرابع عشر إلى يومنا هذا.

جهود المملكة العربية السعودية في خدمة السنة :

قد بذلت المملكة العربية السعودية جهوداً عظيمة في خدمتها والعناية بها والسعي في نشر ما تضمنتْه من تعاليم وأسس ومبادئ، ومن أهم تلك الجهود:

١- يعدّ القرآن الكريم والسّنّة النبّويّة المرجع الأساس لدستور المملكة العربية السعودية.

٢- لا يكاد يخلو خطابات ملوك المملكة من التذكير بأنّها دولة قامت على الكتاب والسنة، وهذا بدءًا من المؤسس الملك عبد العزيز "رحمه الله" إلى الملك سلمان "حفظه الله".

٣- حرص المملكة على تعليم مواطنيها القرآن الكريم وسنة محمد ﷺ وذلك من خلال التعليم العامّ أو التعليم العالي، فلا يكاد سنة دراسية إلا ويدرس فيها الحديث.

٤- عناية المملكة وخدمتها بأهل السنة في الحرمين، بدءًا من تطبيق السنة وامتثالها، ورعاية مَنْ يدرِّسُها فيهما.

٥- أنشأت المملكة المعاهد العلمية التابعة لوزارة التعليم، على غرار المدارس العلمية والتربوية الأخرى.

٦- أسّست المملكة جمعيات خيريّة متخصّصة في الإشراف على حلقات للأبناء والدور النسائية للبنات.

٧- التصريح لعدد كبير من المؤسسات الخيرية المتخصّصة في الحديث النبوي وغيرها، ودعمها مالياً لتؤدي رسالتها في المجتمع على أكمل وجه وأروع بيان.

٨- ساهمت المملكة في إنشاء الجامعات والمراكز التي تُعنى بالسنة سواء داخل السعودية أو خارجها.

٩- أقامت المملكة مجموعة من المسابقات في السنة النبوية، ورصدت لها الجوائز القيّمة التي تليق بمكانتها.

جهود المؤسسات في خدمة السنة :

١- كليات وأقسام الحديث المتخصّصة في السّنة النّبوية في الجامعات الإسلامية على امتداد الوطن العربي، كالجامعة الإسلامية بالمدينة، وجامعة أم القرى بمكة، وجامعة الإمام محمد ابن سعود، وجامعة الأزهر، والجامعة الزيتونية بتونس، وجامعة محمد الخامس بمغرب،

والجامعة الأردنية، وجامعة هند وغيرها، وقد أعدّ طلبة العلم في هذه الجامعات مئات الرسائل في خدمة السنة وعلومها تحقيقاً وتخريجاً وتأصيلاً ودراسات حديثية مختلفة.

٢- مراكز السنة والسيرة التابعة لبعض الجامعات، كمركز خدمة السنُّة بالجامعة الإسلامية بالمدينة، وقد حقّق ونشر العديد من أمهات الكتب، ككتاب: "إتحاف المهرة بالفوائد المبتكرة من أطراف الكتب العشرة" لابن حجر.

٣- مركز السيرة والسنة بالمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بمصر.

٤- الرابطة المحمّدية في المغرب.

٥- وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت.

٦- دائرة المعارف العثمانية، بحيدر آباد الدكن بالهند، وتأسست عام ١٣٠٨هـ، وكان لها فضل كبير في إحياء كتب التراث بما فيها السُّنة النبوية.

٧- مكاتب البحث والتحقيق التابعة لدور النشر، سواءً كانت قديمة أو حديثة، ومن دور النشر القديمة: مطبعة بولاق – مطبعة البابي الحلبي – المكتبة السلفية.

جهود الأفراد (العلماء) في خدمة السنة :

يمكننا عند الحديث عن جهود العلماء المعاصرين في خدمة السنة أن نقسم الكلام عنهم بحسب بلدانهم وأوطانهم.

من بلاد الحرمين (المملكة العربية السعودية):

١- الشيخ عبد الرحمن بن يحيى المعلمي: (ت ١٣٨٦هـ)، وقد بذل جهدا كبيرا في خدمة السنة، كتحقيقه ونشره لكتاب "التاريخ الكبير" للإمام البخاري، أو "الجرح والتعديل" لابن أبي حاتم.

٢- الشيخ محمد عبد الرزاق حمزة: (ت ١٣٩٢ هـ)، له إسهامات في خدمة السنة النبوية من خلال بعض الأعمال العلمية، كتحقيق كتاب: "الموارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان" للهيثمي، وتحقيق كتاب: "اختصار علوم الحديث" لابن كثير.

٣- الشيخ حمّاد الأنصاري: (ت ١٤١٨هـ)، وله جهود في خدمة السنة، من مؤلفاته: "إتحاف ذوي الرسوخ بمن دلّس من الشيوخ".

٤- الشيخ عبد العزيز بن باز: (ت ١٤٢١هـ)، وله جهود في خدمة السنة النبوية مثل: تعليقاته على "فتح الباري" لابن حجر، وكتابه "الإفهام في شرح عمدة الأحكام" لعبد الغني المقدسي.

من البلاد المصرية:

١- الشيخ أحمد عبد الرحمن الساعاتي: (ت ١٣٧١هـ)، الذي رتّب مسند الإمام أحمد على الأبواب الفقهية في كتاب سراء: «الفتح الرباني بترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، ثم شرحه في كتاب جاء في ستّ مجدات كبار سمّاه "بلوغ الأماني بأسرار الفتح الربّاني"، كما رتب "مسند الإمام الشافعي" وشرحه.

٢- الشيخ أحمد محمد شاكر: (ت ١٣٧٧ هـ)، وقد ترك آثار كثيرة في خدمة السنة، كتحقيقه "مسند الإمام أحمد ابن حنبل"، ولم يكمله، وتحقيقه "سنن الترمذي"، ولم يكمله أيضاً، وشرحه لكتاب: "اختصار علوم الحديث" لابن كثير.

٣- الشيخ محمد فؤاد عبد الباقي: (ت ١٣٨٨هـ)، وله إسهام كبير في تحقيق ونشر الكثير من كتب السنة مع ترقيمها وصنع الفهارس اللازمة لها، كتحقيقه لـ "صحيح الإمام البخاري" و "صحيح الإمام مسلم" و "موطأ الإمام مالك" و "سنن ابن ماجه".

من بلاد الشام:

١- الشيخ محمد راغب الطباخ: (ت ١٣٧٠هـ)، وقد حقّق جملة من كتب السنة، كـ "معالم السنن" للخطّابي، و"التقييد والإيضاح" للعراقي، وألّف كتابه الشهير: "إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء" في سبع مجلدات.

٢- الشيخ محمد ناصر الدين الألباني: (ت ١٤٢١هـ)، وهو من أعلام العصر الحديث، وترك آثارا كثيرة جدّاً في ذلك، كتحقيقه لكتاب: "مشكاة المصابيح" للتبريزي، و"البيئة" لابن أبي عاصم، كما ألّف كتباً كثيرة في تخريج الأحاديث وبيان درجتها من حيث الصحة والضعف، ككتابه: "سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها"، و"سلسلة الأحاديث الضعيفة وأثرها السيء في الأمة"، و"إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل"، وغير ذلك.

٣- الشيخ شعيب الأرناؤوط: (ت ١٤٣٩هـ)، وقد أسهم في نشر وتحقيق كثير من كتب السنة، كتحقيقه لـ "مسند الإمام أحمد"، وتحقيقه لـ "صحيح ابن حبان"، و"سنن أبي داود"، وشرح "السنة" للبغوي، وغيرها.

من بلاد العراق:

١- الشيخ حمدي عبد المجيد السلفي: (ت ١٤٣٣هـ) وقد حقّق ونشر جملة من كتب السنة كتحقيقه: "معجم الطبراني الكبير"، و"ومسند الشهاب للقضاعي"، و"نتائج الأفكار في تخريج أحاديث الأذكار" لابن حجر، وغيرها.

٢- الشيخ صبحي السامرائي: (ت :١٤٣٤هـ)، وقد حقّق ونشر عددا ًكبيراً من كتب السنّة المطهّرة، كتحقيقه: لـ "شرح العلل الابن رجب"، و"المنتخب من مسند عبد بن حميد"، و"مجموعة رسائل في علوم الحديث" للإمام النسائي، وغير ذلك.

٣- الدكتور بشار عواد معروف حفظه الله: وقد أسهم في نشر وتحقيق كثير من كتب السنّة، كتحقيقه لـ "سنن الترمذي" وتحقيقه لـ "تاريخ بغداد" للخطيب، و "التمهيد" لابن عبدالبر، وغيرها.

من بلاد الهند:

١- الشيخ صديق حسن خان القنوجي: (ت ١٣٠٧ هـ)، وقد أسهم في شرح كثير من كتب السنة والتأليف فيها، كشرحه: "عون الباري بشرح مختصر البخاري"، و"السراج الوهاج بشرح مختصر صحيح مسلم بن الحجاج"، و"الحطة في ذكر الصحاح الستة"، وغيرها.

٢- الشيخ شمس الحق العظيم آبادي: (ت ١٣٢٩هـ) شرح وعلّق على كثير من كتب السنة، كشرحه: "غاية المقصود في حلّ سنن أبي داود"، و"عون المعبود بشرح سنن أبي داود"، وهو اختصار لكتاب الأول المذكور له، و"التعليق المغني على سنن الدارقطني"، وغيرها.

٣- الشيخ محمد عبد الرحمن المباركفوري: (ت ١٣٥٣هـ)، وله جملة من المؤلفات والشروح والتعليقات على كتب السنة، كشرحه الشهير: "تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي"، و"خير الماعون في منع الفرار من الطاعون"، و"القول السديد فيما يتعلق بتكبيرات العيد"، وغيرها.

من بلد اليمن:

مقبل بن هادي الوادعي: (ت ١٤٢٢هـ) أنشأ مدرسة علميّة سلفيّة بقرية دماج في محافظة صعدة سماها بـ "دار الحديث" يفد إليها الطلاب من أنحاء اليمن ومن بلدان أخرى، وتخرّج على يديه شيوخ أنشئوا مدارس في عدد من مناطق اليمن.

أنواع الخدمات التي قدّمها المعاصرون للسنة النبوية :

١- التحقيق والطباعة والإخراج لكتب السنة باختلاف أنواعها، ويعدُّ هذا من أبرز الخدمات.
٢- التصنيف في علوم السنة باختلاف أنواعها.
٣- إبراز جهود المتقدّمين ودراسة مناهجهم.
٤- الدّفاع عن السّنة وبيان حجّيتها ودفع الشّبهات عنها.
٥- نشر السّنة بين النّاس والقيام بشرحها وفقهها ودلالاتها.
٦- عقد المجالس لسماع كتب السنة.

التقنيات الحديثة في خدمة السنة النّبوية :

بعد التطوّر الكبير الذي شهده العصر الحاضر في مجالات التقنيات الحديثة؛ انتشرت البرامج العلميّة التي تعمل من خلال أجهزة الحاسب الآلي والأجهزة اللوحيّة.

ومن أهم هذه البرامج والتقنيّات:

١-تقنية قراءة مصوّرات الكتب (PDF)، والتي يمكن من خلالها قراءة صورة الكتاب المطبوع، كما لو كان الكتاب بين يدي القارئ.
٢- برنامج المكتبة الشاملة، الذي يحتوي على عدد كبير جدّاً من المصنّفات.
٣- برنامج خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله للسنة النبوية.
٤- برنامج جوامع الكلم.
٥- تطبيق جامع الكتب التسعة.

ومن المواقع الإلكترونية:

١- موقع الجمعية العلمية السعودية للسنة النبوية.
٢- موقع الدّرر السنيّة.

فوائد التقنيات الحديثة ودورها في خدمة السّنّة:

كان لهذه البرامج دور كبير في خدمة السنّة النبوية وفوائد جليلة متعدِّدة، منها:

١-تصوير المطبوعات الورقية لمصنَّفات السُّنّة، وحفظها كمُصّورات، أو تحويلها على صيغ إلكترونية، مما ساعد على نشر السّنّة بين المسلمين، ويسّر الوقوف على أكبر قدر من المصنّفات في السّنّة.

٢-بذل هذه المصنّفات -سواءٌ المصوّرة أو الإلكترونيّة -لعوم الناس، بعد أن كان كثير منها صعبَ المنازل؛ لقلّة توفّره، أو لغلاء ثمنه، وغير ذلك.

٣-إدخال مصنّفات السنة النبوية في البرامج الإلكترونية، التي تتميّز بإتاحة البحث بطرق متنوّعة، فأصبح لدينا ما يعرف بالتخريج الإلكتروني، والمكتبة الرّقمية، وهذا الأمر قرّب السنة لعموم المسلمين، ويسّر التعامل مع مصنّفاتِها.

جوانب القصور في التقنية الحديثة:

١-كثرة الأغلاط والتّصحيفات والسقط في البرامج الحاسوبيّة بشكل عامّ.

٢-أن الحواسب تتعامل مع النّصوص بصورة آليّة جامدة تفتقر إلى حسّ الحدس والتفكير، فأيّ خطأ في إدخال كلمة البحث من قِبل الباحث أو مُدخل النصّ في البرنامج فسيفضي إلى عدم قدرته على الوصول إلى المعلومة المطلوبة.

٣-إمكانية ضياع المادة العلمية بسبب تعرّضها إلى الفيروسات ونحوها من الأعطال الفنّية والتلف.

٤-ضعف التوثيق العلمي في البرامج الحاسوبيّة.

٥-ضياع كثير من حقوق المؤلفين والطابعين وملكيّاتهم الفرديّة.

ضوابط التعامل مع التقنيات الحديثة والبرامج العلمية:

١-اختيار البرنامج المناسب لعمليّة البحث المطلوبة، فهذه البرامج مختلفة من حيث كثرةُ المصادر المدخلة فيها، ومن حيث الدّقة والإتقان، ومن حيث الخدمات.

٢-اختيار الطبعات المتقنة للمطبوعات المصوّرة؛ لأنّ كثيرً من هذه البرامج تعتمد طبعات تجاريّة غير متقنة للمصادر، فيكثر فيها التصحيف والتحريف والسَّقط.

٣-تنويع طُرق البحث في هذه البرامج، واختيار الطريقة الأكثر دقّةً، وتقليب الكلمات المدخلة في البحث بأكثر من طريقة؛ للوصول إلى النتائج المطلوبة.

٤-برامج البحث الإلكتروني لا تُغني عن الرجوع إلى المصادر الأصلية للنصوص أو مصوّراتها، فينبغي أن تُجعل هذه البرامج وسيلة للوصول إلى النتائج، وليست مصادر يُعزى إليها؛ لأنّ كثيراً من هذه البرامج قد أُدخلت فيها النصوص بشكل خاطئ.